محمد عبد المنعم خفاجى

أستاذ بكلية اللغة العربيـــة
بالجامعة الأزهرية

الإسلام
وحقوق الإنسان

القاهرة
مكتبة الخانجي

الطبعة الأولى

١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا بحث جديد مفصل، أكتبه عن ديننا الخالد الكريم، لأثبت فيه أن الأسلام وكتابه العظيم، أول وثيقة إلهية، وأعظم تأييد سماوى، لحقوق الانسان وكرامته المعنوية فى الحياة ... وأنهما أكبر اعتراف سجله التاريخ، طول عصور الانسانية، بحرية بنى البشر جميعا، وبتعزيز الرقى الاجتماعى، وبالقضاء على الفوضى والظلم والطغيان، وتحرير الانسان من الخوف والعوز، وإعلان المساواة التامة، والاخاء الكامل، بين أبناء البشرية كافة .. وأن كل إعلان عالمى جديد، تؤيده الهيئات الدولية، لحقوق الانسان، ما هو إلا صدى لهذه الدعوة الكريمة، وتلك الرسالة الالهية العظمى، التى انبثق نورها من أفق الصحراء، وأضاء شعاعها العالم كله من مكة والمدينة

وما أكثر ما نعرف عن الأسلام وما أقله، فى وقت واحد، نعم ما أكثر ما نعرف عنه، من ترهات وقشور، وما أقل ما نعرفه نحن المسلمين عنه، من حقائق خالدة، ومبادىء عالية، ومذاهب مثلى، رفعت مستوى الحياة والمدنية، وأنقذت الناس من ظلمات الحياة البدائية، وجددت معانى الخلق الأمثل، والحرية النادرة، والمساواة والاخاء والعدالة، بين الافراد والجماعات والشعوب

فالى كل مسلم ومسلمة، وإلى المفكرين والدعاة ورجال الاصلاح ... أهدى هذا الكتاب ؟

المؤلف

أفكار جديدة

منذ قرن ونصف من الزمان ، قامت الثورة الفرنسية ، وأذاعت فى أوربا والعالم كله ، مبادىء الحرية والاخاء والمساواة .. وقام على أساس هذه المبادىء عهد جديد فى تاريخ الانسانية ، هتف به رجال الفكر ، وأشاد به المصلحون فى كل مكان ، ونسبوا كل فضل فيه إلى فرنسا مهد الحرية والنور .. ويعلم الله أنهم كانوا فى ذلك أغرارا ، وأنهم نسوا أو تناسوا الاسلام ومبادئه الخالدة التى كانت أول لبنة فى صرح الحضارة الانسانية

ولقد هال الناس ، ولا يزال يهولهم ، هذا الفرق الشاسع بين هذه المبادىء الحلوة الجميلة ، التى طبقها الغرب فى العالم ، فكانت شرا وبلاء واستعمارا مخيفا ، وقتلا للحريات والشعوب ، وبين مبادىء الأسلام السمحة الكريمة ، التى قامت عليها دول ، نشرت العلم والحضارة والنور والحرية والاخاء فى العالم كله ، وأنقذت الدنيا من ظلمات العصور الجاهلية ، ورفعت قدر الفكر الانسانى ، ونقلت تراث الاقدمين وحفظته وخلدته وأذاعته ، واقتبس الغرب كل مقومات حضارته وعمرانه وحياته من تاريخها ومبادئها وأفكارها وثقافاتها وحضاراتها الزاهية المشرقة

• • •

ومضت السنون متتابعة ، ووقعت الحرب العالمية الاولى ، وقامت عصبة الامم ، تؤكد فى مبادئها الحريات العامة ، وحقوق الانسان . ولكن عصبة الامم فشلت فى رسالتها ، وتنكر أعضاؤها لمبادئها ولحريات الامم والشعوب والجماعات . وحدثت الحرب العالمية الثانية ، التى كادت تودى بمقومات الحياة

والحضارة ، والتى عصفت بكل معانى الانسانية

وبعد أن هدأت نيران هذه الحرب الضروس ، قام المفكرون فى أوربا وأمريكا ، يدعون إلى مبادىء جديدة ، وينادون بضرورة الدفاع عن الحريات الانسانية ، وحقوق الانسان فى الحياة .. ولا ننسى صيحة « روبرت لى همبر » عام ١٩٤٥ فى أمريكا ودعوته الى إقامة اتحاد عالمى ، لتسود الديمقراطية المجتمع الدولى كله ، على أساس من حرية الامم والأفراد ، ويكون الناس جميعا رعية هذا المجتمع العالمى ، الذى يجب أن تقوم حكومته على القانون لا على المعاهدات ، لأن عصر المعاهدات قد مضى وحل محله عصر القانون

وقامت هيئة الامم المتحدة التى نص فى صدر ميثاقها على ما يأتى : نحن شعوب الأمم المتحدة ، وقد آلينا على أنفسنا : أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التى جلبت فى خلال جيل واحد مرتين على الانسانية أحزانا يعجز عنها الوصف . وان نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للانسان وبكرامة الفرد وقدره ، وبما للرجال والنساء ، والأمم كبيرها وصغيرها ، من حقوق متساوية . وأن ندفع بالرقى الاجتماعى قدما ، وأن نرفع مستوى الحياة فى جو من الحرية أفسح .. وفى سبيل هذه الغايات اعتزمنا : أن نأخذ أنفسنا بالتسامح ، وان نعيش معا فى سلام وحسن جوار ، وأن نضم قوانا كى نحتفظ بالسلم والأمن الدولى ، وأن نستخدم الآلات الدولية فى ترقية الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعها ... قد قررنا أن نوحد جهودنا لتحقيق هذه الأغراض ... »

وقامت على أساس ميثاق الأمم المتحـــدة فروع رئيسية لهيئة الأمم ، هى : الجمعية العامة ، ومجلس الأمن ، ومجلس الوصاية ، ومحكمة العدل الدولية ، والمجلس الاقتصادى والاجتماعى

وفى ديسمبر ١٩٤٨ أقرت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة الاعلان العالمى

لحقوق الانسان , وأذيع فى كل مكان .. وسنشير الى مبادئه فى الفصول التالية ،
ومن العجب العجيب ، أن هذه المبادىء ، حين يبحثها الباحث ، يجد أنها ، فى
نصوصها وأهدافها ، لا تخرج عن مبادىء الاسلام الكريم ، ونصوصه المأثورة
التى تروى عن رسوله ودعاته وأعلامه ومفكريه

وستجد فى الفصول التالية ما يقنعك ، ويقوى إيمانك ، بهذه الفكرة السليمة ،
التى يؤيدها العقل والبحث الصحيح

البشرية بين الاسلام ودعوات الاصلاح

إن الاسلام لا يمنع قيام دعوات إصلاحية جديدة ، ما دامت تهتدى بهداه وتترسم خطاه ، وتستضىء بنوره ، وتعمل على النهوض بالأنسانية ، والسمو بها إلى آفاق الحق والخير والنور والسلام

فالدعوة التى تسود العالم الآن ، وترمى إلى نشر السلام فى أرجائه ، والقضاء على الحروب التى تهدده كل حين ، والتى قامت على أسسها هيئة الأمم المتحدة أخيرا ، هى إذا صحت النيات فيها ، وأخلصوا لها القلوب ، دعوة نبيلة ، تلاقى وأهداف الاسلام العالية ، ولكنها ليست جديدة ، وكيف تكون جديدة وقد سبقها الاسلام فى هذا المضمار بنحو ألف وأربعة مائة عام ؟ .. وكذلك الشأن فى كثير من الدعوات الاجتماعية والسياسية والخلقية والفكرية والاقتصادية التى قامت فى العصر الحديث

إنما يجب أن تقوم الدعوة على سلامة المبادىء ، وموائمتها لأصول الخير والعدالة والحق ، وعلى سمو الغاية والوسيلة والأدراك الصحيح لحاجات البشرية الرفيعة . . وان كانت شخصية الداعى ، وقوة إيمانه بدعوته ، وإخلاصه لوجه الله والانسانية فيها ، وبعد إدراكه لآداب الدعوة وأصولها ، أهم عامل فى نجاح الدعوة وانتشارها

إن الاسلام — وهو العقيدة الرفيعة الكاملة ، وفيه خير البشرية وسعادتها وآمالها — ليس فى حاجة إلى كثير من الدعاة ، بل هو فى حاجة إلى داعية واحد ، يجدد للأمة روحها ، ويبعث من عزيمتها ، ويسير بها إلى الآمال العظيمة والغايات المرتجاة

والبشرية ليست فى حاجة إلى دعوات كثيرة ، بمقدار ما هى فى حاجة إلى مبادىء الاسلام الخالدة ، التى طبقت فى كل مكان ، فأثمرت الخير والأمن والسلام والرفاهية والحضارة والعمران والعلم فى كل مكان

الاسلام دين الرقى

بدأ الاوربيون بعد الحرب العالمية الاولى ، يطبقون مبدأ الضمان الاجتماعى فى بلادهم ، على الكهول والمرضى والعاجزين عن الكسب واليتامى والارامل. وبعد الحرب العالمية الثانية بأكثر من خمس سنوات بدأنا نحن ننفذه بقدر ضئيل فى بلادنا ، وعلى وجه التدريج . ويخجلنا ان يكون هذا المبدأ الاجتماعى العادل قد دعا اليه الاسلام منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ونفذه الرسول الكريم وخلفاؤه الراشدون بعده ، وخاصة عمر ، تنفيذا صحيحا عاما ، ثم ننسى نحن المسلمين تعاليم ديننا وقرآننا ؛ ونعود بعد أجيال لنقتبس من أوربا مبادىء دعا اليها ونفذها الاسلام .

وفى عهد الرسول بدأ مشروع محو الأمية فى المدينة ومكة ، وفرض على المسلمين عامة طلب العلم ، ونصب الرسول صلوات الله عليه وخلفاؤه الدعاة والمرشدين والمعلمين فى شتى الاقطار والامصار ، لتثقيف الناس وتهذيبهم ، ووضعت مجانية التعليم ، ولكننا نحن المسلمين ، بعد أجيال مديدة ، نعود ونقتبس هذه النظم وتلك المبادىء من الغرب والغربيين ، مفتخرين بأننا بدأنا نعمل فى طريق الخير والديمقراطية والعدالة الاجتماعية ، وما كان أحرانا بأن نقيم على ديننا وتعاليم القرآن الحكيم ، إذن لكنا أول الصاعدين فى مدارج الحضارة والرقى والمدنية الصحيحة .

وحقوق العامل والفلاح والخادم والمرأة والطبقات الاجتماعية ، كل هذه

قد كفلها الاسلام ، وحافظ عليها ، ودعا إلى رعايتها ، وأنذر من يتعدون عليها بالوعيد الشديد ، ولكننا قد تناسيناها ، ثم عدنا نأخذها قليلا قليلا عن أوربا ، ونطبقها تطبيقا أعوج ، لايحقق شيئا مما نتوخاه من عدالة وحق وخير للناس عامة ، ومع ذلك فاننا نزهو معجبين ، وندعى اننا أخذنا نطبق قوانين الأمم المتحدة ـ التى أملتها الانسانية النبيلة ـ فى بلادنا العزيزة ، وأننا يجب أن ننال تقدير العالم كافة ، لاننا نهجنا منهج الامم المتمدينة فى إصلاح الحيـــاة الاجتماعية ، وتهيئة وسائل العيش للطبقات الفقيرة !

والعلاج المجانى الذى لانزال نحلم به هو أصل مقرر فى الحياة الاسلامية من قديم ، ونحن بعد ان حرمنا منه أجيالا مديدة ، نعود فنقتبسه من الغربيين . .

والنظام الديمقراطى الشورى أليس هو مبدأ من مبادىء الاسلام الكريم ، نفذه الرسول وصحابته وخلفاؤه . ثم انصرفنا عنه ، حتى عدنا اليه قريبا ، ناقلين له من الدول الغربية ، نطبقه بقشوره لابروحه وجوهره . .

ومسئولية الحاكم فى الاسلام مبدأ معروف ، ولا تزال الدول التى تتزعم ركب المدنية فى العالم اليوم تتجاهله وتنأى عنه وتنكره ...

ومحاربة الجشع الاقتصادى والاحتكار والربا واكل مال الناس ظلما ، والاستغلال بشتى الوانه ، ونهب الحقوق العامة للشعب ، كل هـــذا هو روح الاسلام وجوهر مبادئه الانسانية المقدسة .

والغاء الفوارق والامتيازات بين الطبقات والعناصر والالوان وإقامة العدل بين الناس كافة ، ونشر الأخاء والمساواة ، وتقديس الحريات ، كل أولئك هو مذهب الاسلام فى الاصلاح والنهوض بالطبقات والشعوب ، ولكننا لانزال ننكر هذه المبادىء ونحاربها فى روحهـــا وجوهرها ، وان كنا ندعى ولا نزال

ندعي بأننا أول الدعاة اليها ، والمحافظين عليها ، والساعين لنشرها بين الناس . . إلى غير ذلك من الحقائق الخالدة التي نبعت من الاسلام ، وتفجرت من ينابيع دستوره العظيم . كتاب الله الحكيم ، ومع ذلك كله فلا يزال بيننا من يفهم الاسلام على انه دين رجعية وجمود ، وأنه عبادات فحسب ، وان لا صلة له بالمجتمع والدولة،وانه يجب إنقاذ الناس من حجره على الحريات .

وكذبوا وايم الله ، وافتروا على الاسلام ، ان يريدون إلا الهدم ما استطاعوا ، يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ، ويأبى الله إلا ان يتم نوره ولو كره الكافرون .

(١)

الإسلام ومبادئه الخالدة

قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ، دينا قيما ، ملة إبراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين . قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين

(١٦١ — ١٦٣ الأنعام)

سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ؛ أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ؟

(٥٣ فصلت)

رسالة جـــــديدة

رسالة جديدة حقا ، غيرت مجرى التاريخ ، وبدلت نظام الحياة ، وسمت بالانسانية التى كان يهوى بها الجهل والفاقة والذل والاستبداد ، وارتفعت بكرامة الفرد والمجتمع والأمم إلى المكان اللائق بها ، حيث السمو فى العقيدة ، والعظمة فى النظام وروح الجماعة ؛ ووأدت الكثير من المبادىء الضالة الضارة ، سواء فى العقيدة أم فى التفكير أم فى الاجتماع ؛ وبعثت شعورا جديدا فى العالم كافة ، يقوم على إيمان وطيد بمبادىء الحق والعدالة والحرية والمساواة والأخوة العامة والزمالة الانسانية المشتركة ؛ وقادت العالم إلى مجـــال الطهر والفضيلة ، والشرف والكرامة والصفاء الروحى ، والطمأنينة النفسية ، والثقة بأن الانسان خليفة الله فى الأرض ، وأن عليه واجبا أدبيـــا محتوما : أن ينشر الأمن والسلام والحب والرحمة والتعاون والاحسان بين الناس جميعا ، وأن يعمل على النهوض بالحياة والبشرية ليسعد الفرد وتحيا الجماعة وترقى الأمة وتتقدم الانسانية ، لأنه مسئول عن ذلك كله أمام ضميره وأمام إلهه خالق الأرض والسموات .

وما تكون هذه الرسالة غير رسالة محمد صلوات الله عليه ، رسالة الايمان ، ودعوة القرآن ، التى أشرقت بنورها الأرض ، واهتزت لعظمتها السماء ، وكانت حدا فاصلا بين عهود بغيضة من الهمجية والوحشية والظلام والاستعباد وعصور كريمة سمتها الايمان والعلم والحضارة وتقديس كل ما هو حق وخير وجميل ؟

لقد كان بدء نزول هذه الرسالة حدثا تاريخيا عالميا دوى صداه فى الآفاق ، فبدأ نزول القرآن منذ نحو أربعة عشر قرنا ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، نزل للتحرير الانسانى العام ، فقد حرر الانسان من الأوهام ، والجماعة من الهوان والذلة والاضطهاد وبطش الطغاة ، والبشرية من الخرافات والضلالات والجمود ومعاداة النظام وكراهية التقدم ومحاربة الفضائل والأخلاق الكريمة .

وأخذت روح الفردية تضاءل لتخلفها روح الجماعة ، ومبادىء الطغيان الدينى والاجتماعى والمادى تتلاشى لتقوم على أشلائها مبادىء الايمان بالعدالة والمساواة وحريات الناس وكراماتهم ، فانتهى إلى غير رجعة عهد الكهان والمتكهنين وعهد الضلال والمضللين ، وانقضت التقاليد المرذولة التى كانت تحل الخمر والميسر والربا ، وترى القتل والاسراف فى الثأر عملا مجيدا ، وتبيح وأد البنات وعقوق الامهات وارتكاب المنكرات ، وتنظر إلى الظلم والغش ونقض العهود وإلى النفاق والرياء والوشاية والنميمة والافساد بين الناس كأنها أعمال مألوفة معروفة .

بدأت الدعوة تسرى إلى الآفاق فارتمت فى أحضانها الناس والجماعات والامم واكتسح أبطال هذه الدعوة الحصون والمعاقل والممالك ، ونشروا راية الاسلام والسلام فى شتى الارجاء والبقاع ، وبدأت مواكب الحضارة والعلوم والفنون والآداب تسير ويسير وراءها الخير والرفاهية والعزة والمجد والعظمة للاسلام والمسلمين وللناس كافة .

رسالة جديدة هى رسالة الايمان ، والروح والانسانية الكريمة ... فلينهض قادتها ودعاتها لنشرها من جديد ، بعد أن شقيت الحياة والأحياء برسالات الكفر والطغيان والاستعمار ، والجشع المادى : الذى بعث الفوضى ، وقضى على النظام والامن والسلام ، وأشعل الحرب فى الأرض ، وأرث العداوات بين الامم « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد »

لينهض الشرق من جديد ليؤدى رسالته ، وينشر دعوته ، ويذود عن حماه ، ويدافع عن عرينه . ويقضى على الذئاب والمتذئبين بين ربوعه ، ويحارب ما يراد به من الهوان والتحكم والاذلال .. ليعد إلى الله وإلى دينه وكتابه وشريعة رسوله ، يكتب الله له النصر والظفر والغلبة ، فالله ولى الصالحين ، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

رسول الاخاء الانسانى

يذكر المسلمون ق مشارق الارض ومغاربها ، كيف نشأ محمد فى مكة فقيرا يتيما أميا ، وكيف قضى أيام طفولته وشبابه يقلب بصره فى السماء حائرا يلتمس الهدى والنور ، معذبا يرثى لهذه الانسانية التى أضلتها الاهواء والأوهام ، يقيم فى مكة فيجد الاوثان والأحجار آلهة تعبد دون الله ؛ ويسافر إلى الشام حيث شعب المسيح فيرى التوحيد ينقلب شركا ، والرحمة التى دعا اليها المسيح تصير ضعفا وهوانا عند قوم ، وبغيا وعدوانا عند آخرين. ويفكر فى حاضر الانسانية فلا يبصر بصيصا من نور ، ولا بارقة من أمل ، فالناس يعيشون فى ظلمات من الجهل ، ويرسفون فى اغلال ثقيلة من العبودية ، وأى امتهان لكرامة العقل الانسانى اخطر من الحياة بين الجهل والعبودية والطغيان ؟ الناس طائفتان : طائفة ترتفع إلى صف الألوهية وأخرى تهوى إلى الحضيض والعقل البشرى فى جمود وخمول يتخذ منهج الآباء شريعة ، ويرى تقليدهم واجبا مقدسا ، وأى حياة للحرية بين الجمود والتقليد ؟ ثم يذكرون بعد ذلك كيف دارت الايام ، وصار محمد الشاب الفتى رجـلا حكيما ، ثم نبيا مرسلا ، وداعية للطهر والتوحيد والحق والعدالة والحرية ، وهاديا للبشر كافة يجمعهم على كلمة واحدة ، ويدعوهم إلى شريعة سماوية طاهرة فيها الهدى والنور والأمل والخير والطمأنينة والسعادة والحرية للناس جميعا ، لافرق بين عنصر وعنصر ، ولا بين جنس وجنس ، ولا بين أمة وأمة. الجميع عباد الله وابناؤه ، كلهم من آدم ، لافضل لعربيهم على أعجميهم ؛ وأكرمهم عند الله أتقاهم

ويذكرون كيف حارب محمد الوثنية فانتصر عليهـا ونشر مكانها التوحيد والحرية والأخاء والمساواة ، وكيف قامت على مبادئه دولة لم تكن الشمس تغيب

منها ، ونمت على أساسها حضارة مشرقة استظل العالم بظلالها أحقابا طوالا وكانت نواة حضارة الغرب الحديثة ، وكيف قامت هذه الدولة على تقديس حرية الفكر والرأى والعقيدة ، حتى لقد تجاورت الاديان الثلاثة فى أملاك امبراطورية المسلمين فلم نسمع إلا عدلا ورحمة وتعاونا وحبا وتقديسا لحرية الدين ، ولا بدع فقد كان التسامح الدينى واحترام أهل الديانات السماوية الأخرى حقيقة واضحة فى سياسة الرسول وخلفائه ، فلقد أمن محمد صلوات الله عليه نصارى نجران على حرياتهم الدينية ؛ كما فعل الفاروق عمر بن الخطاب مع نصارى الشام . ولقد حارب الرسول الأكرم فى حياته الجمود والتعصب القبلى والوطنى المحدود ، وأحل محل ذلك الإنسانية والعالمية بأوسع معانيها مما لم تعرفه اوروبا إلا فى القرن العشرين ، وقرر أن أصول الأديان ثابتة ، وان الله شرع لعباده فى الاسلام ماوصى به نوحا وما وصى به ابراهيم وموسى وعيسى .

ويذكرون ماسوى ذلك من ذكريات المجد التليد ، والعظمة الخالدة ، والعبقرية الحقة ، والزعامة الصحيحة ، فيستبديهم الاعجاب ؛ ويزدهيهم الفخار ؛ ويقولون : سبحان الله ! ! إن هذه أيادى محمد الكريمة على الانسانية لايكاد يعيها العد ، وتنوء الحياة بدين محمد الفادح عليها ، ويبهت الفكر حين يجد ان هذا الأمى العربى قد بدل سير التاريخ وحول مجرى التاريخ ، وغير مجرى الحضارة ، ونهج للانسانية مناهج لم تعرفها من قبل ولا من بعد ، لأنها خلاصة المثل العليا فى الاخلاق والفضائل والآداب وفى الاجتماع والسياسة والاقتصاد وفى جميع شئون الحياة والتفكير ، وبحق ان محمداً لرسول الاخاء الانسانى ، ونبى البشرية كافة ، والعبقرى المفدى الذى لم يلد التاريخ له مثيلا طول الأجيال والقرون التى تعاقبت على الحياة والناس .

كان ميلاد محمد ميلاد الحضارة والثقافة والمدنية والنور والهدى والخير والرحمة والحرية والإخاء والمساواة والتعاون بين الناس كافة .

وبحق مايقول « بوسورث سميث » : « كان محمدا موفقا توفيقا فريداً فى بابه لم يحدثنا التاريخ عن مثله ، فقد جمع بين زعامات ثلاث . هى زعامة الشعب وزعامة الدين وزعامة الدولة ، ورغم أنه كان أمياً ، فقد جاء بكتاب جمع بين البلاغة والتشريع والعبادات هو الآن موضع احترام أكثر من سدس العالم كمعجزة هى دليل العقل والحكمة أكثر من أى معجزة سواها .

ويقول لامرتين الشاعر الفرنسى المشهور :

« أترون محمدا كان أخا خداع وتدليس ، وصاحب باطل ومين ؟ كلا بعدما وعينا تاريخه ودرسنا حياته ، فإن الخداع والتدليس والباطل والمين : كل أولئك من نفاق العقائد ، وليس للنفاق قوة العقيدة ، وليس للكذب قوة الصدق . وإذا كانت قوة الصعود والرمى فى علم الطبيعة والحركات الآلية هى المقياس الصحيح لقوة المصدر الذى تنفذ منه الرمية وتظهر فى الأفق من القذيفة ، فإن العمل والفعل الذى يحدثه المحدث ، فى علم التاريخ وسجل الخلود وكتاب الانسانية هو المقياس الصحيح لمقدار الوحى وقوة القلب والوجدان والفكر السامية العالية التى تنفذ إلى مكان بعيد وتبقى زمنا طويلا وتمشى فى الحياة أبدا . وهى لا ريب فكرة قوية صدرت عن وجدان قوى . ولكى تكون تلك الفكرة قوية ينبغى أن يكون ظاهرها وباطنها الاخلاص ، وعلمها الأكبر الحق والصدق . ولا بد أن تكون معقولة يقبلها اللب ويعتمدها الذهن . ولا ريب أن ذلك ينطبق على محمد ورسالته والوحى الذى تنزل عليه . فان حياته وقوة تأمله وتفكيره وجهاده ، ووثبته على خرافات أمته وجاهلية شعبه وخزعبلات قبيلته ، وشهامته وجرأته وبأسه فى لقاء مالقيه من عبدة الأوثان ، وثباته وبقاءه ثلاثة عشر عاما يدعو دعوته فى وسط أعدائه وخصومه فى قلب مكة ونواديها ومجامـــع أهلها ، وتقبله سخرية الساخرين ، وهزؤه بهزء الهازئين ، وحميته فى نشر رسالته ، وتوافره على السعى فى اظهار دعوته ، وحروبه التى كان جيشه فيها أقل من عدوه ، ووثوقه بالنجاح وإيمانه بالظفر ، وإعلاء كلمته واطمئنانه ورباطة جأشه فى الهزائم ، وأناته وصبره

حق يحرز النصر ؛ وطاعيته وتطلعه إلى إعلاء الكلمة الإلهية وتأسيس العقيدة الاسلامية لا فتح الدولة وإنشاء الأمبراطورية وإقامة القيصرية ، ونجواه التي لا تنقطع مع الله ، وقبض الله إياه إلى جواره ، مع نجاح دينه بعد موته .. كل ذلك أدلة على أنه لم يكن يضمر خداعا أو يعيش على باطل ومين : بل كان وراء عقيدة صادقة ويقين مضيء في قلبه ، وهـذا اليقين الذي ملا روحه هو الذي وهبه القوة على أن يرد إلى الحياة فكرة عظيمة وحجة قائمة ومبدأ مزدوجا ، وهو وحدانية الله وتجرد ذاته عن المادة : الأولى تدل على من هو الله ؟ ، والثانية تنفي ما ألصق الوثنيون به . الأولى حطمت آلهة كاذبة ونكست معبودات باطلة ، والأخرى فتحت طريقا جديدا إلى الفكر ومهدت سبيلا للنظر

« فالفيلسوف والخطيب والرسول والمشرع والقائد ومسعر الحرب وفاتح أقطار الفكر ، ورواد الانسان إلى العقل ، وناشر العقائد المعقولة الموافقة للذهن واللب ، ومؤسس دين لا وثنية فيه ولا صور ولا رقيات ، ومنشيء عشرين دولة في الأرض ، وفاتح دولة واحدة في السماء من ناحية الروح والفؤاد : ذلكم هو محمد فأي رجل لعمركم قيس بجميع هذه المقاييس التي وضعت لوزن العظمة الانسانية كان أعظم منه ؟ وأي إنسان صعد هذه المراقي كلها فكان عظيما في جميعها غير هذا الرجل ؟ »

آراء اعلام الغرب فى الاسلام

قال كانن تيلر فى خطاب جامع ألقاه بتاريخ ١٧ اكتوبر ١٨٨٧ ما نصه :

« إن الإسلام قد سبق النصرانية بمراحل شاسعة فإن النصرانية فى بعض الجهات أخذت فى التقهقر إلى الوراء امام الدين الإسلامى ، فى حين أن الوسائل التى التى تستعملها لتمصير الأمم الإسلامية يفشل أمرها ، والشباك التى تنصبها لهم تتقطع حبالها . . والدين الإسلامى يمتد الآن من مراكش إلى يافا ، ومن زنجبار إلى الصين ، ويخطو فى داخل أفريقيا خطوات كبيرة ، وتعتنقه أمم كثيرة . وقد خطا بنفسه وثبت قدمه فى إفريقيا وآسيا وهو من غير شك ينشر الإخاء والمساواة »

وقال اللورد استانلى وقد سئل : لم أسلمت وقد كنت مغرقا فى نصرانيتك ؟ :

« أو أغمط الفضل أهله ، أو أجحد الله وعلمه . أنا مسلم رأيت أثر الاسلام وقدرته فى نفسى حق قدره . وهو عندى عزيز ، لأنى رأيت الفرق بينه وبين الأديان المنسوخة ، ولأنى رضيت به بعد بحث واجهاد ، فلا أقبل به بديلا .. أنا مسلم ، أهزأ بكل ما يحيط بى من مظاهر المدينة ، فصحيحها الحق من كتاب الله وقرآنه ، وباطلها المذاع لا يلبث أن تبرهن الأيام على بطلانه »

. . .

وقال توماس كارليل :

« ما كاد الاسلام يظهر حتى احترقت فيه وثنيـــات العرب ، وجدليات النصرانية . وكل ما لم يكن بحق ، فانه حطب جاف أكلته نار الاسلام فذهب ، والنارلم تذهب .. ولقد أخرج الله العرب بالاسلام من الظلمات إلى النور ، وأحيا به منها أمة خاملة ، وأرضاً هامدة ، لا يسمع لها صوت ولا تحس فيها حركة ،

منذ بدء العالم ، فأرسل الله لهم نبيا بكلمة من لدنه ، ورسالة من قبله ، فاذا الخمول شهرة ، والغموض قد استحال نباهة ، والضعة رفعة ، والضعف قوة ، والشرارة حريقا وسع نوره الأنحاء ، وعم ضوءه الأرجاء ، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب ، والمشرق بالمغرب . وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث ، حتى صار لدولة العرب رجل فى الهند ، ورجل فى الأندلس ، وأشرقت دولة الاسلام حقبا عديدة ، ودهورا مديدة ، بنور الفضل والنبل ، والمروءة والبأس ، والنجدة ورونق الحق والهدى ، على نصف المعمورة »

. . .

وقال اللورد هدلى :

« إن فى انجلترا ألوفاً من الأفراد المثقفين ، وهم مسلمون فى قلوبهم ، وإن لم يعلنوا ذلك جهاراً . وقد شرحت لكثير منهم ماهية الاسلام فكانوا يجيبوننى : إذا كان هذا هو دينك فانا اذن مسلمون لأن هذا ما نعتقده وما نفكر فيه »

. . .

وقال فارس الخورى بك أحد وزراء سوريا المسيحيين ، من خطبة له ، فى إحدى الحفلات العظيمة ، التى أقيمت بدمشق ، عام ١٩٣٥ ، لإحياء ذكرى مولد محمد صلوات الله عليه (١) . وذلك فى رسول الاسلام ، وفى مبادئه الخالدة :

« إن محمدا أعظم عظماء العالم ، ولم يجد الدهر بعد بمثله ، والدين الذى جاء

---

(١) نقلا عن جريدة المقطم عدد ٢٧ / ٦ / ١٩٣٥ تحت عنوان : « وزير مسيحى يصف الشريعة الاسلامية »

به أولى الأديان وأتمها وأكملها . وإن محمداً أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية،ولم يستطع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف بفضل الذى دعا الناس اليه باسم الله ، وبأنها متفقة مع العلم ، مطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية . إن محمدا الذى تحتفلون به وتكرمون ذكراه ، أعظم عظماء الأرض سابقهم ولاحقهم . فقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم ، وأنشأ منهم أمة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ ، وجاء لها بأعظم ديانة عينت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تعاملهم،على أسس تعدمن أرقى دساتير العالم وأكملها .

. . .

إلى غير ذلك ، من الكثير من آراء المفكرين ، فى الغرب والشرق ؛ مما تركنا الاشارة إليه ، ومما سيجىء بعضه ؛ وهى كلها شهادات ناطقة ، بجلال الاسلام ، وعظمة مبادئه ، وسمو أهدافه ، واعترافه بحقوق الانسان ، وبحريات الشعوب ، وانقاذه للانسانية من براثن الجهل والخوف والاضطراب والظلام .

. . .

وفى ختام هــذا البحث نسجل كلمة لجول لابوم فى تصوير حالة العالم قبل ظهور الاسلام . فى القرن السادس . قال :

كان جو العالم الأرضى متلبداً بسبب الاضطرابات الوحشية فى كل جهة ، وكان اعتماد الناس على وسائل الشر أكثر من اعتمادهم على وسائل الخير .

« وكان أجمع الرؤساء للثقة والطاعة أشدهم صيحة فى إصلاء نيران الحروب والمعارك ، ولم يكن يأخذ بعواطف ولا يؤثر عليها تأثيراً حاداً ، وإن كان وقتيا ، إلا شىء واحد ، وهو الغنيمة وسلب الأمم والشعوب والمدائن والأعيان ورجال الحرب وفقراء الحرائث وبسطاء المتسولين . ولولا

شعاع ضئيل من الحكمة كان يتألق فى بعض صوامع الكهنة ، وبعض الجرائم الفلسفية التى كانت بمعزل عن أعاصير تلك المشاغب وانتقلت من روح إلى روح أخرى بواسطة بعض أصحاب الجسادة من رسل الترقى فى المستقبل ، لكانت البربرية أسرعت فى خطاها مقودة بغطرسة زعماء البهيمية ، واستحالت إلى وحشية محضة

، مع هذا كله كان هنالك ركن من أركان الأرض لم يصبه لفحة من هذه الحركة ، ولكن لم يكن ذلك لحكمة أهله ورجاحة عقولهم ، بل بسبب موقعهم الجغرافى البعيد عن مضطرب الأمم التى كان يقال إنها متمدينة : ذلك الركن هو شبه جزيرة العرب التى ما كانت تسمع انفجار أعاصير تلك الفتن الهائلة فى أوربا إلا عن بعد ، وما كان يصلها ذلك اللغط إلا فى غاية الضعف والضؤولة ، وكانت تجهل وجود الهند والصين ، فإن علاقاتها مع آسيا لم تكن تتعدى حدود بلاد الفرس ، ولم تعرف لديها الفرس إلا بواسطة أخبار الانتصارات أو الهزائم التى كان من ورائها رد بعض الوديان العربية القريبة من الفرس الى تبعية أمبراطور القسطنطينية تبعية اسمية ، او رفع نير تلك التبعية الاسمية عنها .

على أن ذلك الوادى الأخير كان يهم بلاد العرب جداً ، لأن أبناءها كانوا يذهبون إليه للتجارة ، وكان لها فيه أبناء استعمروا الشاطىء الغربى من نهر الفرات ، وصعدوا رويداً رويداً الى بحر قزوين . ومما يشبه المساتير الدينية أنها بقيت منفصلة عن القطر المصرى الذى أغار على جنوبه العرب الرعاة ، ولم ينجلوا عنه تماما إلا بعد أن انجلى عنه بعض إخوانه المتأخرين ، وهم الإسرائيليون تحت قيادة موسى (عليه السلام) حينما استرد المصريون السلطة وعاملوهم معاملة البهائم .

ما المملكة الوحيدة التى كان بينها وبين العرب صلة أو علاقة ، فهى بلاد الحبشة ، أما الجهة الشمالية من أفريقيا التى أغاروا عليها مرتين والتى كانت بجانبهم نقطة النزاع بين الرومانيين والقرطاجنيين وبين يونان القسطنطينية والفنداليين ، فكانوا لايحلون بوجودها . ويقول كوسان دوبر سوقال فى كتاب تاريخ العرب :

« إن المتحضرين من عرب البحرين والعراق كانوا خاضعين للفارسيين ، أما المتبدون منهم فكانوا فى الحقيقة أحرارا لاسلطة عليهم ؛ وكان عرب سوريا دائنين للرومان . أما قبائل بلاد العرب الوسطى والحجاز الذين ساد عليهم التبابعة وهم ملوك بنى حمير سيادة وقتية ، فكانت تعتبر أنها تحت سيادة ملوك الفرس ، ولكنها فى الحقيقة كانت متمتعة بالاستقلال التام الذى لاغبار عليه » .

ثم قال لابوم : « ولم يكن العرب أحسن استعدادا من غيرهم لقبول أى دين من الأديان . يقول دوزى فى مؤلفه تاريخ عرب اسبانيا : كان يوجد على عهد محمد فى بلاد العرب ثلاث ديانات : الموسوية ، والعيسوية ، والوثنية . فكان اليهود من بين أتباع هذه الأديان أشد الناس تمسكا بدينهم وأكثرهم حقدا على مخالفى ملتهم . نعم يندر أن تصادف اضطهادات دينية فى تاريخ العرب الأقدمين ، ولكن ماوجد فنسوب الى اليهود وحدهم . أما النصرانية فلم يكن لها أتباع كثيرون ، وكان المتذهبون بها لايعرفونها إلا معرفة سطحية ، وكانت هذه الديانات تحتوى على كثير من الخوارق والأسرار بحيث يعز أن تسود على شعب حسى كثير الاستهزاء .

« أما الوثنيون الذين كانوا هم السواد الأعظم من الأمة ، والذين كان لكل قبيلة بل اسرة منهم آلهة خاصة ، والذين كانوا يصدقون بوجود الله تعالى

ويعتبرون تلك الآلهة شفعاء لديه ، فقد كانوا يحترمون كهانهم وأصنامهم

وكانت طبائع العرب وأخلاقهم لا تدل الناظر اليها إلا على أنهم شعب لم يكادوا يجوزون العقبة الأولى من عقبات الاجتماع لو لم تكن الأسرة عندهم بل القبيلة أيضا - وهي نقطة تلفت النظر - تهتم اهتماما عظيما بحفظ سلسلة نسبها ولو لم يكن - وهو أمر أغرب من سابقه - إدراكهم للقوانين وسعة لغتهم من جهة اخرى داعيا إلى الالتفات بنوع أخص .

الاسلام صفحة جديدة فى تاريخ البشرية

فتح الإسلام صفحة جديدة فى تاريخ البشرية ؛ وكتب سفرا خالدا حافلا: بأروع جهاد عرفته الانسانية وبأعظم دعوة وصلت إلى الارض من السماء ، وأكبر ثورة لم يعرف التاريخ لها مثيلا ... ثورة على الجمود البشرى واضطهاد الإنسان لأخيه الإنسان . واستعباد القوى للضعيف ... ثورة أنقذت العالم من حياته الذليلة البدائية . وأحالت ظلام الحياة نورا . وخوفها أمنا وسلاما ، وظلمها عدلا وإنصافا وحرية . مما شهد به أفذاذ المفكرين والمؤرخين ، ودعاة الإصلاح .

ومن أولى محمد بن عبد الله صلوات الله عليه بأن يرفع فى العالم منارة السلام ، وراية المدنية ، وان يصل الأرض بالسماء ، ويسعى بالانسان ليبلغ ما كان ينتظره من حياة زاهرة ، وحرية نادرة ، وحضارة باهرة . فيها الأمن والأمل والاطمئنان والرجاء ؟ . .

لقد كانت رسالة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، أول إعلان عالمى لحقوق الانسان وأكبر حركة لتأييد كرامته وشخصيته فى الحياة ، وإصلاحا عاما شمل جميع ميادين الاصلاح .

صلى الله عليه ، ورفعه إلى أعلى عليين ، وأكرمه فى أمته كما أكرم أمته به ، إنه على ما يشاء قدير .

. . .

جاء الاسلام والعرب قبائل ممزعة ، وأحياء متخاصمة ، لا يجمعهم دين ولا سلطان ، ولا شريعة اجتماعية عادلة منظمة . . . فبدلهم من ذلك كله نظاما موحدا ، وحياة كريمة مهذبة ، فى الاجتماع والسياسة ، وفى الدين والدنيا .

واعترف الاسلام للانسان : بحريته ، واستقلاله الفكرى والاجتماعى والمالى وجعله حرا طليقا من كل قيد ، إلا من الخضوع لدين الله ، وللحاكم الأعلى الذى يحكم بشريعة الله ، ويسهر على حفظ الأمن والنظام بين الناس . . . فرفع بذلك من كرامة الانسان ومعنويته ؛ وجعله خليفة له فى الأرض يعمرها ، ويمحو منها الظلام والفوضى والجهل والجمود ، بما وهبه الله من عقل ، وما حث عليه من العلم والعمران والآخاء ، التى هى أسباب وثيقة للمدنية والحضارة .

ونظم الأسرة على أسس اجتماعية سليمة فشرع الزواج وجعله رباطا مقدسا بين الرجل والمرأة ، وجعل الأسرة هى الوحدة الصغيرة التى يتكون منها المجتمع والشعب ، وحافظ عليها ، ودعا إلى رعايتها . وحرم العلاقات الأثيمة والبغاء ، لحفظ الأنساب ، ودعم كيان الاسرة . . ورفع من شأن المرأة ، وجعلها شريكة الرجل فى الحياة ، وفرض نفقتها ونفقة الاولاد على الزوج ، وحتم عليهما حسن التعهد للأبناء ، والقيام بتربيتهم وتهذيبهم وتثقيفهم ، حتى يبلغوا مبلغ الشباب .

ودعا الاسلام إلى أن يكون الناس إخوة متحابين متعاونين فى الحياة ، وساوى بينهم فى الحقوق والواجبات ، وحرم دعوة العصبية واستبدل بها دعوة الدين ، والطاعة لحاكم واحد يلزم شريعة الله . . وشرع كثيرا من الشرائع الاجتماعية ، التى تزيد فى قوة المجتمع ووحدته ، كالحج والزكاة وصلاة الجماعة والاحسان . . وحارب الرذائل الاجتماعية ، والعادات الفاسدة والتقاليد الجامدة

وأزال الفوارق الاجتماعية بين الناس والشعوب ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى .. وحرم الاعتداء على أموال الناس وأعراضهم وأرواحهم وحرياتهم وأباح الطيبات من الرزق ، ومكاسب الانسان الشريفة . وأيقظ الضمير وهذبه وجعله رقيبا على أعمال الانسان . كما ألقى عبء حفظ النظام ، والسهر على الأمن على كاهل الحاكم الاكبر ، ومن يعاونونه فى خدمة الأمة ورعاية مصالح الناس

. . .

وحارب الاسلام الاديان الفاسدة ، والعقائد الزائغة . ووجه الناس كافة إلى الله وحده لا شريك له ، فرفع من كرامة الانسان وشخصيته فى الحياة . . ونبه من شأن العقل ، وحكمه فى كل شىء ، فحارب التقليد والجمود ، ودعا إلى استقلال الانسان بالتفكير ، وبذلك بعث العقل البشرى قويا فتيا يبحث فى أسرار الوجود والحياة .

وطارد الاوهام الفاسدة التى تضعف من شأن الفكر ، وتدعوه إلى الكسل والخوف وتحمله على الايمان الاعمى . والتسليم المطلق .

وهذا أسس النهضة العالمية الكبرى التى يحيا الغرب والشرق فى ظلالها .

أفغير دين الله يبغون ؛ وله أسلم من فى السموات
والأرض طوعا وكرها ، واليه يرجعون ؟
— ٨٣ آل عمران —

رسالة الاسلام إنسانية وعالمية

قامت على مبادىء الاسلام دولة عظيمة ،ونمت على أساسها حضارة مشرقة هى نواة الحضارة الأوربية الحديثة ، ولها الفضل كل الفضل فى نقل حضارات الأمم القديمة الى العالم الحديث ، ولولا جهود المفكرين المسلمين لضاعت آثار المدنيات والحضارات القديمة وعلومها ومعارفها

قامت هذه الدولة وتلك الحضارة ، على المعرفة والحرية وعلى الديمقراطية النبيلة التى بلغت على يد الفاروق عمر بن الخطاب أسمى ما تبلغه الانسانية الراقية، وقامت على تقديس حرية الفكر . . . ومبادىء محمد ودعوته ورسالته ما هى إلا صدى لهذا الدستور الخالد ، والكتاب الحى الباقى : « القرآن الكريم »

وتقرأ فى القرآن فتجد حربا لا هوادة فيها على الشرك والوثنية ، وتحرير العقل الانسانى من أوهام التعصب والجمود والضلال وإيمانا لا يشوبه شك بقيمة المعرفة والثقافة ، وغرسا للفضائل الانسانية والمثل العليا فى نفوس الناس كافة ، ومحاربة للرذائل والمنكرات والشرور والآثام والفوضى الاجتماعية فى كل شىء وكل ناحية .

وتجد أول هدف له هو نشر التعاون بين البشر جميعا ، فلا فرق بين جنس وجنس ، ولا فضل لأمة على أمة أو قبيلة على قبيلة أو إنسان على إنسان ، إلا بالاخلاق الكريمة والأعمال الصالحة ، وتقوى الله وطاعته ، « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وهكذا قبر الاسلام ورسوله الجمود والتعصب القبلى والوطنى المحدود ، وأحل محل ذلك الانسانية والعالمية بأوسع معانيها ، ولقد بدأت أوربا

بعد أن ضلت الطريق تعمل لهذه الغاية التى عمل لها الاسلام منذ أربعة عشر قرنا من الزمان .

وهكذا غرس محمد صلوات الله عليه بيديه الكريمتين شجرة الحرية والتعاون والانسانية والمساواة والآخاء ، ووضع أساس حضارة روحية من أعظم الحضارات التى شهدها التاريخ وعاش فى ظلها العالم أجيالا وقرونا ينعمون بعدلها وحكمها ويشاهدون آثارها الخالدة فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والآداب والفنون .

وهل الحضارة إلا آثار الرقى الانسانى ومظاهر التقدم البشرى فى شتى نواحى الحياة ؟

وإذا قست ذلك بآثار محمد ورسالته فى الحياة على الناس والانسانية كافة وجدت أياديه العظيمة ، لا يكاد يعيها العد ، ويبهت الفكر حين يجد أن هذا الأمى العربى قد بدل سير التاريخ ، وحول مجرى الحضارة ، ويقف العقل والبيان حائرين لايدريان كيف يشكران ، فضل هذا الرسول العظيم .

إن ميلاد محمد ميلاد الحضارة ، وبحق ما أقول ، فلم تكن الحضارة القديمة من صينية ، وهندية ، وفارسية ، وفرعونية ، وإغريقية ، ورومانية إلا جسما خاليا من الروح ، وبدء نواة لحركة التقدم والرقى الانسانى .

على أن هذه الحضارات مع ما قامت عليه من شتى المبادىء والأسس والنظم الخاطئة لم تستطع أن تحارب الجهل والفقر والهمجية والوثنية إلا فى بقع صغيرة محدودة ، أما أغلب أرجاء العالم فكانت تعيش فى ظلام دامس ، وضلال شامل ، وخوف مفزع وفقر ووحشية .

أما الحضارة الاسلامية التى غرسها محمد فقد نظمت الحياة فى كل ناحية من نواحيها وهذبتها ، وسارت بالانسانية إلى غايتها النبيلة ، ومثلها الرفيعة ، وحررت

الفكر الانسانى من قيوده وأوهامه . وامتازت بروحانيتها المشرقة ، وإيمانها المطلق بمبادىء الخير ، واشتراكيتها العادلة التى جعلت الفقير أخا للغنى والغنى أخا للفقير ، والتى ساوت بين شتى الطبقات والجماعات والعناصر .

الاهداف المثلى للدعوة الاسلامية

لا تجد دينا يدعو إلى الأهداف الكريمة ، والغايات السامية ، والأغراض الشريفة ، والمثل العليا ، مثل دين الإسلام ، وشريعة محمد خاتم الرسـل عليه السلام ، ولا عجب فالإسلام دين البشرية الخالد ، وخلاصة المثل الإنسانية العالية ، وعقيدة الفكر الحر ، التى ترنو إليها البشرية ، وتهدف نحوها الحياة ، وتتلاقى مع أصول الحضارات والمذاهب الحقة ، وتجتمع مع شتى تيارات التفكير الحديث المنزه عن الهوى .

ولقد جاء الإسلام والعالم يعيش فى ظلام دامس ، وجهل مطبق ، ونظم عتيقة فاسدة ، وعقائد محرفة مضللة .. فبدل ظلام الحياة نوراً ، والجهل ثقافة وعلما وعرفانا ، ومحا تلك النظم البالية ، والتقاليد الباطلة الزائفة ، وجاء بأصول اجتماعية وانسانية ، هى أسمى ما عرف فى الأديان والمذاهب من مقومات وعناصر .

دعا إلى عقيدة تجمع بين أصول العقائد والأديان السماوية الصحيحة ، وتسير بالإنسان إلى حياة مهذبة كريمة ، توفق بين المادة والروح ، والدين والدنيا ، والأولى والآخرة .

وجه الاسلام الناس جميعا إلى عبادة إله واحد لا شريك له ، له مقاليد

السموات والأرض ، يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه . . وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر . . كما دعا النـــاس إلى دين واحد ، يصدق به العقل والروح ، ويجمع بين خير الدنيا والآخرة ، ويرشد إلى أمثل ما فى الحياة من عدالة وخير ورحمة . . وجمعهم على كتاب واحد ، ودستور خالد ، هو القرآن ، كتاب الله العظيم . . وعلى رسالة واحدة ، هى رسالة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ؛ وهى الرسالة التى تتفق مع دعوات الأنبياء ، وشرائع المرسلين « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » . . فلم لا يكون الإسلام بذلك كله مثلا أعلى فى العقيدة والايمان . . »

وسن الاسلام القوانين الصالحة لكل العصور والجماعات ، والكفيلة برقى الفرد والأسرة ، وتقدم المجتمع والأمة والانسانية ؛ على نحو يرضاه العقل ، ويطمئن إليه القلب والوجدان . . فلم لا يكون بذلك الداعى إلى المثل الأعلى فى النظام والتشريع . . ؟

وحارب الاسلام العصبيات وأفكار الجاهلية الأولى ، التى تفضل جنساً على جنس ، أو جماعة على جماعة ، أو فرداً على فرد . يقول الله عز وجل : « إنما المؤمنون إخوة » ويقول رسوله صلوات الله وسلامه عليه : « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » .

حاربها الاسلام لأنها تنادى بالتنابز والبغضاء ، وتفرق بين الناس وقد جمعهم أصل واحد : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

محا الاسلام ما كان بين الطبقات من تلك الفوارق الاجتماعية الواسعة ، التى كثيرا ما تستند إلى الحسب أو الجاه أو المال ، وجعل الفقير أخا الغنى ، والغنى أخا الفقير . ودعا الأغنياء إلى البذل والجود والاحسان وأداء الزكاة وإنفاق المال فى كل حق وخير ومعروف . كما دعا الفقراء إلى الأمانة والعمل والزهد والقناعة والرضاء بما قسم الله، «أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون . فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله ، وأولئك هم المفلحون» . . وقرر أن المال فى أيدى الأغنياء إنما هو مال الله استخلفهم فيه ، «آمنوا بالله ورسوله ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» . وما ينفقونه على الفقراء من مال إنما هو قرض لهم عند الله يجزيهم عليه خيراً وثواباً كبيرا ، «وأنفقوا خيراً لأنفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، إن تقرضوا الله قرضا حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم ، والله شكور حليم» . . فكيف لا يكون الإسلام بذلك كله دينا عاماً هو المثل الأعلى فى الاجتماع والروح الإنسانى الكريم . . ؟

والأصول الأولى فى الاسلام تدعو إلى الحق والخير والعدل والمساواة والحرية ، وإلى التعاون والوحدة والشورى ، والى الأخوة العامة ، والزمالة البشرية ، والى المدنية والحضارة والرقى والثقافة ، والى محاربة الأهواء والتقاليد الضارة ، والى المحافظة على الشرف والكرامة وروح الانسانية فى الفرد والجماعة والأمة . . كما تدعوا الى السلام ، والى أن يقوم هذا السلام على الحق ، وفى سبيل خدمة المثل العليا التى يدعو إليها الإسلام . . وهى فوق ذلك فطرة الله التى فطر الناس عليها . «صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ؟» ، وحسبك أنها تقوم على رعاية شئون الدنيا وأمور الآخرة «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى

الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين ، . . إلى غير ذلك من الأهداف والمثل التى يجمعها ويدعو إليها الاسلام وكتابه الكريم .

وبعد فقد حرر الاسلام الانسان من الوهم والتقليد والجمود والجهل والفاقة والاضطهاد والاستبداد . . وحرر المرأة من استبداد الرجل ؛ فجعل لها حقها فى الحياة ، وسواها به فى الحقوق والواجبات المشروعة ، واعترف بأهليتها للتصرف والتملك وتدبير شئون المنزل والأسرة ؛ والمساهمة فى أعمال الخير والبر والطاعات ، وفى شتى النواحى الاجتماعية التى لاغنى للمجتمع عن نشاط المرأة فيها . وحرر الطبقات من طغيان العصبيات والثروة والحسب . . وحرر المجتمعات من الخرافات والأضاليل وأوهام الكهان والمتزعمين . وحرر الأمم ، فجعل أمرها شورى بينها ، وساسها بالعدل والقسطاس المستقيم ، وبالرحمة والايثار وحب الخير العام ومصلحة الجماعة المشتركة والشعور الصحيح بالمسئوليات . . وقضى على الرذائل والمنكرات والشهوات ، التى تضعف الروح ، وتهدم البنيان ، وتفسد نزعات الخير ، وتقف بالجماعة عن السير والنضال فى الحياة . . وحرر الانسانية عامة من ربقة الجهل والوحشية والتأخر والفوضى والاثرة ؛ ومن جموح الشهوات ، وتقديس الماديات ، والجنوح إلى الشر والفساد فى الأرض ، ومن التقليد الضار ، والايمان بما كان يؤمن به الآباء والأجداد ، دون تحكيم للعقل ، أو وزن للأمور بميزان التفكير السليم . . ورفع مع ذلك كله الانسان ومكانته فى الحياة ، فجعله خليفة الله فى الأرض ، ودعاه إلى أن يسير إلى أمثل ما فى الحياة من حق وخير وسمو ، والى أن يعمل على تقدم الحياة والانسانية بأوسع معانيها .

ولقد أتت الروح الاسلامية الأولى بالمعجزات ، فى الاجتماع والسياسة ، وفى الأدب والعلم والفن ، وفى التفكير والتنظيم ، وفى شتى نواحى الحياة

والحضارة .. ومن أولى بذلك من الاسلام ، دين الله ، وشريعة رسوله محمد صلوات الله عليه ؛ ودستوره القرآن ، ومنطقه العقل والحجة والبرهان، وأساسه الفضيلة والايثار والخير ، وروح الجماعة والانسانية العالية ، والتجرد من الأوهام والرذائل والمادية القاتلة ، ومن كل ما هو منكر وقبيح وباطل . فما أروع الاسلام ، وما أجل شريعة تقوم على هذه المبادىء المثلى، وتدعو اليها، وتدفع البشر والبشرية نحوها !.

الحضارة الاسلاميـــــة

مبادئها وأهدافها

بدأ ميلاد الحضارة الاسلامية بعد ميلاد الاسلام بقليل ، وذلك حينما استقر استقر الرسول وصحبه فى المدينة ، وأخذ الاستقرار الروحى والادبى والفكرى والاجتماعى ينتشر فى جزيرة العرب ، وانتفع اهلها بتوجيههم بفضل الاسلام إلى الحق والخير .

ثم جاء الخلفاء وملوك المسلمين الاوائل فتعهدوا هذا الغرس حتى نما وازدهر وأثمر . وتعددت مراكز الحضارة الاسلامية فى العالم الاسلامى ، وهذا هو التاريخ شاهد صدق على مدى ما بلغته دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة وسواها من مدنية . ولقد تألقت اضواء الحضارة الاسلامية فى شتى ارجاء العالم المعروف آنذاك ، وانتقلت من الشرق إلى الغرب عن طريق صقلية والاندلس وباختلاط الاوربيين والشرقيين فى الحروب الصليبية وسواها .

وصحيح ان الحضارة الاسلامية اقتبست ونقلت عن حضارات الهند والصين وايران والاشوريين و"بابليين والفينيقيين والاغريق والرومان وسواها ، ولكنها

بجانب ذلك جددت وابتكرت ، فكان الشرق بحق استاذا واماما ابان العصور السالفة ، بما شهد به الفلاسفة والمفكرون فى الغرب ، وسجله التاريخ فى فخر وتقدير

واذا كان لكل حضارة مبادىء واهداف ، تقوم عليها ولاجلها ، فان الحضارة الاسلامية تقوم على مبادىء خالدة ، لم يصل اليها العقل البشرى من قبل ، ولم يستطع العالم فى القرن العشرين ان يجاريها أو يتخذ مما يماثلها دستور له فى الحياة .. وهى مبادىء الاسلام الخالد الكريم .. الانسان فى رأى الاسلام قبس من نور الله ، وتراث من حكمته ، وخليفة استخلفه على الارض وعليه لذلك أن يتجه بروحه وقلبه إلى الله وحده لا شريك له ، يعبده ويطيعه ويعمل بشرائعه ، ويوقن انه معه فى كل مكان وحين ، يعلم السر وما هو اخفى « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له ، وبذلك امرت وانا اول المسلمين » .

ولا شك فى أن ذلك يكسب الانسان صفاء فى العقيدة ، ونورا فى الصدر ، وطهرا فى القلب ، واعتزازا بالنفس والعمل الكريم ، ورضاء باحكام الله وقضائه ، « له مقاليد السموات والارض ، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، انه بكل شىء عليم » .

وينظر الاســـلام إلى المجتمع — بجميع عناصره وطبقاته — على على أنه أسرة واحدة متعاونة تعاونا وثيقا فى الحياة ، يعطف الغنى على الفقير ، ويحنو الكبير على الصغير ، ويدفع كل بالتى هى احسن ، وهل ابلغ فى التعبير عن هذا التعاون المطلق والاخوة الكاملة من قول الله عز وجل : « انما المؤمنون اخوة » ، وقول الرسول الكريم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر »

والراعى يقيم العدل ويزن بالقسطاس ، ويسوى بين الناس ؛ ويستشير فى احكامه اولى العقل والتفكير ، وينشر الامن والسلام بين الرعية ؛ لا يقر له قرار

حتى يأخذ كل ذى حق حقه ، ويقضى لكل ذى حاجة حاجته ، ويرد عن كل مظلوم ما لحقه من ظلم وطغيان

والعالم كله بشعوبه وعناصره وأديانه مجتمع واحد ، يكفل له الاسلام الامن والسلام ، فى ظلال التعاون والمحبة والاخاء والتبادل الفكرى والعقلى والروحى والمادى . ويجب أن يعيش الناس أمة واحدة كما خلقهم الله ، كان الناس أمة واحدة فاختلفوا ، « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

هذا فوق ما كفله الاسلام من شتى عناصر التقدم والحضارة الادبية والروحية والمادية ، اللازمة لتقدم الجماعات ، ورقى الامم والشعوب . مما قضى على الهمجية والوحشية فى عصور لم تعرف النور ولا الحضارة من قبل .

والاهداف الاولى لهذه المبادىء كلها فى نظر الاسلام ، هى نشر افكار الحق والعدالة والحرية والمساواة والاخاء والشورى والتعاون والخير والمحبة والرحمة والسلام . ليعيش الناس جميعا وحدة مجتمعة فى الافكار والاهداف والمبادىء والغايات ، فى ظلال عالم موحد تسوده الطمأنينة والامن والسلم ، وفى حضارة مشتركة غايتها الاخاء بين الروح والمادة والعقل والجسم والواجب والحق والايثار والاثرة

فما اعز الاسلام ، وشريعة نبى السلام ، وما اروعها مبادىء يجب أن يفهمها ويعمل بها كل انسان

إن حضارة الغرب بألوانها المادية الظالمة ، وروح الاستعمار الجشع الظالم الذى يسودها ويتفشى فيها ، وبنزعاتها فى حب السيطرة والقوة والسيادة ، لا يمكن أن تكون حضارة إنسانية يسعد العالم بأن يعيش فى ظلالها ، وينال الأمن والسلام تحت لوائها

وإن الذين ينزعون إلى الايمان بالغرب وحضارته لجد مخطئين ؟

الحضارة البشرية

اهدافها ومصيرها وأثر الحضارة الاسلامية فيها

بدأ الانسان حياته غريبا على الأرض ، حائرا فى فهمها وكيف يعيش فيها ، مسخرا للاوهام وما هو أقوى منه من حيوان وإنسان ، وأخذ ينتقل من مرحلة إلى مرحـلة ، ويرقى بحياته وبنفسه خطوة خطوة ، وبعث الله إليه المرسلين والأنبياء يرشدونه ويهذبونه ، ويجعلونه أهلا لأن يكون خليفة الله فى أرضه ، وختمت الرسالات برسالة محمد صلوات الله عليه، وهى الرسالة التى كان لها أثرها العميق فى الحياة والحضارة والرقى البشرى العام .

على أن المفكرين كانوا يتجهون بعقولهم الى هدف مشترك هو التمكين للانسانية والحضارة فى الأرض .

وهكذا أظل العالم حضارات متعددة خلال الأجيال القديمة ، فمن حضارة صينية إلى حضارة هندية وفارسـية وفرعونية ، إلى الحضارة الأغريقية والرومانية ، ثم كانت الحضارة الاسلامية ، التى قامت على أساسها الحضارة الأوربية الحديثة .

ولكل حضارة من هذه الحضارات ميزاتها وخصائصها ، وإن كان الطابع البارز للحضارة الاسلامية هو تقديس حرية الفكر ، وإعزاز حرية الانسان وكرامته ، وتشجيع المعرفة والنظام ، والمساواة بين الناس جميعا فى ظلال إخاء شامل وعدل تام، وروحانية جميلة، واعتزاز بالمثل العليا والقيم الأخلاقية السامية .

ولقد استمدت الحضارة الأوربية الحديثة من الحضارة الاسلامية أصولها الفكرية والعلمية العامة ، وسارت على ضوئها فى ميدان الفنون والآداب والعلوم،

ثم بذتها فى ميدان الابتكار والاختراع وكشف أسرار الكون وما أودعه الله فيه من قوى وخصائص ، مما شمل أثره العالم جميعه ، وأدى الى اكتشاف البخار والكهرباء والذرة وسواها من معجزات العقل البشرى التى غيرت مجرى الحياة والحضارة ...

ومع هذا التقدم الانسانى العظيم فقد تنكرت الحضارة الحديثة للمبادىء والأخلاق والدين والفضائل الانسانية والمثل الرفيعة ، واعتزت بماديتها الطاغية وحاربت الأمن والسلام ، وجعلت بعض الناس أعداء لبعض ، وقوت نزعات الطمع والاستبداد والاستعمار فى نفوس الناس والأمم، حتى أصبح الغرب موطن الماديات بألوانها وعنفها . كما كان الشرق موطن الروحانيات بسحرها وجلالها حين كان منبع الحضارة العالمية ومهبط الانسانية الأولى .

قضت الحضارة الأوربية على التعاون الانســـانى ، ومزقت الناس طوائف وأحزابا وجماعات ، وجعلت بعضهم حربا لبعض ، واستباحت فى سبيل التنافس على الاستعمار أن تبيد بعض دولها البعض الآخر فى حروب منظمة بالغة من الفظاعة والعنف والقسوة ما لا يتصوره إنسان ، واستخدمت العلم سلاحا جبارا للفتك والتدمير .

وهكذا رأينا فى الحربين العالميتين الماضيتين أن الانسان يدمر آثار الحضارة بيده ، ويحيل المدن والمصانع والمتاجر و القصور ودور الثقافة ونواديها أطلالا بالية ، ويحرق بقنابله دور الكتب والآثار والمخطوطات والمتاحف ، ويزهق بيده أرواح الملايين من شبان الجامعات وخريجيها ، ومن المفكرين والباحثين وأقطاب النهضات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والأدبية، ويحتكم هذا الانسان خلال الحرب إلى شرائع ونظم ومبادىء ، أقرب إلى نظام الغابة وشريعتها ، واصبح التراث الانسانى العالمى للامم والحضارة مهددا بالدمار

والفناء ، بعد أن ساهمت فى تشييده وبنائه جميع العناصر والشعوب خلال الأجيال الطويلة . . . ووقفت الحضارة بين مذهبين مختلفين .

الأول : مذهب متفائل يمجد هذه الحضارة الراهنة ، ويرى أنها ثابتة قوية ، تسير فى طريقها لأداء رسالتها من إسعاد البشر والحياة .

والثانى : مذهب متشائم ، مشفق من مصير الحضارة راث لها ولمستقبلها . . وبين التفاؤل والتشاؤل ، تقف الحضارة نفسها حيرى ترتقب المستقبل فى خوف وجزع وإشفاق ، فاما تقدم يرضى المتفائلين والمعجبين ، وإما تنهار يصدق قول المتشائمين الذين يرون أن الحضارة قد تغرق فى موج لجى فى المستقبل القريب خلال عاصفة هوجاء من الحرب الذرية المدمرة .

ولست من المتشائمين المشفقين على مستقبل الحضارة ، فسيعيش العالم ، وسينعم بالعيش فى ظلال حضارة مشرقة زاهية ، وستكون هذه الآثار الدامية التى شهدتها الحياة نتيجة لاسراف الحضارة الحديثة فى ماديتها وعنفها وطغيانها وتجردها من كل مقومات الحياة الروحية والأدبية ، سيكون ذلك كله باعثا المفكرين على أن يحولوا سير الحضارة ، وأن يتجهوا بها وجهة جديدة ، لتؤدى رسالتها العظيمة فى خدمة الحياة وإسعاد الانسانية .

فالحضارة باقية ، ولكنها ستتحول وتظل فى تبدل مستمر ، حتى تصل الى أسمى غاية ينشدها المفكرون والمصلحون .

وهذه الرجات الشديدة التى امتحنت بها الحضارة الحديثة ، هى نذير للناس كافة بأن يتجهوا وجهة سامية نبيلة فى حياتهم وتفكيرهم وعيشتهم وألوان اجتماعهم ، وهى مذكرة لهم بخطئهم الذى استعصى إصلاحه والنجاة منه ، والذى جعل الحياة جحيما لا تطاق ، فحرم قتل فرد وأباح قتل أمة ، وحرم سرقة جنيه ، وأباح نهب الملايين من أموال الشعوب المتأخرة بطرق غير مباشرة ، ونادى بالمساواة

ثم قسم الناس إلى ألوان وأجناس وشعوب متقدمة وأخرى متأخرة . وأحاط حرية الانسان بهالة من التقديس ، ولكنه أنكرها على الأمم ، بل على الأفراد حين يهب شعب يطالب بحريته .

بل إن هذه المحن الشديدة التى تكبت بها الانسانية على يد الحضارة الحديثة هى التى أبانت أفضل إبانة عن قيمة الحضارة الاسلامية ومنزلتها فى تاريخ العالم وأثر مبادئها الحية فى قيادة الانسانية وتوجيه الحياة وإسعاد الناس والشعوب .

وبعد ، فلا بد من بقاء الحضارة ، والانسان مصمم على بقائها . ولكن مع ذلك لا بد لها من أن تتحول إلى أهداف أسمى ، وتعمل لمبادىء أعظم ، وتؤمن بغايات أشرف من هذه الغايات التى سارت عليها خلال القرون الماضية والحاضرة . والحضارة من غير شك فى تحول مستمر ، وتقدم مطرد .

وإذا أردنا أن نتصور بعض الأهـــداف التى ستدركها الحضارة البشرية خلال المستقبل القريب ، كان لنا أن نقول إن العالم سيتحرر من كل ما قيد حريته وحد من نشاطه ، وسيتلافى أخطاءه الماضية ، وسيكمل النقص الذى شعر به وأحس بأثره وضرره عليه وعلى الناس .

(ا) فسيصبح بعد حين السلام العالمى حقيقة واضحة لا يجرؤ إنسان أو زعيم أو أمة على أن تشن حربا أو تعلن العدوان ، وسيخفت صوت القوة والسلاح ، ويحتكم الناس إلى مبادىء العدالة والحق والمساواة والحرية ، وهذا أول هدف سعى إليه الاسلام ومحمد رسوله الكريم .

(ب) وستتلاشى الروح القومية لتحل محلهـــا العالمية والانسانية ، ويعيش الناس فى ظلال تعاون وتعارف كاملين ، ويتحقق أحد الأهـــداف العظيمة للاسلام ديننا الخالد ، وهو إلغاء العصبيات والفوارق بين الأجناس والطبقات والعناصر ، والايمان بزمالة إنسانية عامة ، وبالأخوة البشرية الكاملة .

وليس ذلك بعجيب بعد ما سمعنا عن فكرة ، الحكومة العالمية ، التى يدعو إليها بعض المفكرين .

(ج) وستتحول المبادىء الاقتصادية المتنافسة المتحاربة إلى تعاون اقتصادى عام شامل ينتظم جميع أمم العالم وشعوبه ، وذلك لخير الناس ومصلحة الشعوب ، ولرفع مستوى الحياة فى الامم المتأخرة ، وذلك مما يحقق أهداف القرآن الحكيم ويطابق روحه واشتراكيته العادلة .

(د) وستثب النهضة العلمية فى جميع أمم العالم وثبة عظيمة ، وتشترك فيها جميع العقول والافكار متساندة متآخية متحابة ، هدفها الحقيقة والبحث والكشف والابتكار والتجديد فى بناء الحضارة وعناصرها وتنظيمها والسمو بها ، وذلك أحد المقاصد السامية التى سارت إليها الحضارة الاسلامية .

(هـ) وستبنى الحضارة المقبلة على القيم الروحية والمثل العليا الحقة والفضائل الانسانية الكريمة ، قريبا مما جاء به الاسلام ، ووفق ما شرع من مبادىء ومثل وفضائل ، لاتزال موضع اعتزاز الانسانية وفخرها وكبريائها .

(و) وستصبح حرية الانسان والامم وحرية الفكر أمورا مقدسة ، لا يمكن أن يفرط فيها إنسان أو يجترىء على العبث بها أحد ، وهـذا هو أحد النواميس العظيمة التى جاء بها الاسلام وكتابه الكريم .

وبعد ، فسيجد العالم نفسه فى المستقبل القريب يعيش فى ظلال ألوان من التفكير والمبادىء هى بعينها ما شرعه الله وأرسل به محمداً رسوله إلى الناس كافة ، ولا يمكن لعقل أن يدرك مدى ما سيطرأ على حياة الناس من تغيير ، تبعا لتغير ألوان الحضارة وأسسها وأهدافها ، ولسيرها بأقصى سرعتها فى سبيل خدمة البشرية كافة . فذلك كله سيكون من المعجزات فى تاريخ الحضارة والانسانية .

دستور الإسلام وآراء مفكرى الغرب فيه

القرآن الكريم كتاب الله الخالد، ودستور الاسلام الالهى الحكيم، والذى آمن به كل مسلم ومسلمة، وهو معجزة محمد الباقية على أمد العصور والدهور، وهو كتاب الله المعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

آيات وسور اشتملت على أمور الدين والدنيا، وانتظمت سعادة الأولى والآخرة، ونزلت هدى ونورا للبشر كافة، وقضت على هذه الأوهام الباطلة والأساطير الكاذبة والعبادات الضالة والأديان المنحرفة، وأحالت الظلام ضياء والشقاء سعادة واليأس أملا والضلال هدى والهمجية مدنية والجهل علما ومعرفة وثقافة نبع من معينها الزاخر كل من رغب فى الخير وطمح إلى السلام والنور، ونقلت الانسانية من عصر تسوده الفوضى وتذيع فيه مبادىء الطغيان والعبودية وسفك الدماء ونهب الأموال والأعراض إلى حياة فيها رضى وأمن، وطمأنينة وسلام، وحرية وعدل وإخاء، وعمران وحضارة، وحدود محدودة وضعت لسعادة الناس والجماعات والشعوب والانسانية قاطبة

قبس من الهدى والنور نزل به جبريل من السماء إلى الارض على سيد الخلق وأكرم الرسل وأشرف من فى الوجود محمد صلوات الله عليه، فبلغه الناس، وبشر بدعوته العرب والبشر كافة، وأذاع مبادئه فى كل مكان، فحملت إلى العالم السلام والعدل والحرية، وفتحت صفحة جديدة فى تاريخ الانسانية، وأنقذت الناس من ضلال الجاهلية الأولى، فتبارك الله رب العالمين.

تصوروا الشعر ماتصوروه، فلما سمعوا آياته البينة، وبلاغته المتدفقة، ورأوا هدايته النادرة وفصاحته الباهرة، وما فيه من روعة التصوير ودقة التعبير وشدة التأثير، قالوا: إى والله إنه لشعر شاعر وسحر ساحر، إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر، كلا والقمر، والليل إذا أدبر، والصبح إذا سفر،

إنها لاحدى الكبر ، وما هو بقول بشر ، إن هو إلا وحى يوحى ، ومعجزة تحدى ، وبلاغة تتلى وتروى ، أشرقت بنوره السماء والارض ، واهتدت بهديه الملائكة والبشر أجمعون

وبينما كان الرسول الاعظم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه يتعبد فى غار حراء من يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان للسنة الحادية والاربعين من ميلاده الكريم وسنه أربعون سنة وستة أشهر وثمانية أيام ، أى فى السادس من شهر أغسطس عام ٦١٠ م إذ نزل عليه جبريل بالرسالة الالهية العظمى التى اصطفاه الله من بين الخلق لادائها للبشر كافة هدى ونورا وشفاء لما فى الصدور

قال جبريل : يا محمد اقرأ

قال : ما أنا بقارىء

قال : اقرأ

قال : ما أنا بقارىء

قال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، إقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ،علم الانسان ما لم يعلم »

فكانت أول سورة نزلت من القرآن الكريم

نزل الذكر الحكيم فى أسلوب لا يضارعه أسلوب ، فلا هو شعر ولا هو سجع ولا هو مزاوجة ولا هو نثر مرسل ولا خطابة ، إنما هو نظم رائع وألفاظ عذبة ومعان سامية حصيفة ، وجلال وروعة ، جمع بلاغة جميع أساليب البيان وفصاحة شتى خصائص النظم ، واستوفى كل عناصر الاعجاز .

تحدى الله به العرب فعجزوا ، فتحداهم بسورة منه فبهروا ، فتحداهم بأقصر سورة ثم بعدة آيات فخرسوا ، ولما سمعه فصحاؤهم وبلغاؤهم وأرباب البيان

فيهم سجدوا له خاشعين ، وما إيمان عمر حين سمع « طه » ، وما فزع عتبة بن ربيعة وقوله : « والله ماهو بشعر ولا كهانة ولاسحر » حين سمع « فصلت » وما تردد بلغاء العرب على الاماكن التى يتعبد فيها محمد ليلا ليسمعوا هذه البلاغة الباهرة خفية ، وما عجزهم بعد التحدى ، ما كل ذلك إلا دليل الاعجاز وعظمة البيان وجلال الاسلوب

والمفكرون من الغرب يقفون أمام القرآن الكريم مذهولين مشدوهين متحيرين ، مقرين بعظمته وجلاله ، وعبقرى أثره على الحياة والانسانية .

يقول الدكتور موريس الفرنسى :

« لقد قلقت نفسى ، واضطربت حواسى لقول المسيو رينان » : إن القرآن غير فصيح ولا بليغ ، إذ لو جاز لامرىء غير مسلم أن يرتاب فى صدق القرآن وصحة دعواه ، فلا يجوز له أبدا أن يرتاب فى صحة عبارته ، وكونه فى الذروة والسنام من الفصاحة والبلاغة ، بل لنا أن نقول : إن القرآن أفضل كتاب أخرجته العناية الأزلية لبنى البشر ، فهو قد تضمن أناشيد لأسعادهم خيرا من أناشيد فلاسفة اليونان ، وقد استوعب بين دفتيه الثناء على مبدع السموات والأرض ، وتمجيد الله سبحانه .. إن مزايا القرآن الأولية ، وأركانه الأساسية إنما هى فى صحته وحقيقة مبانيه ، وأنه كتاب لا ريب فيه .

ويقول هنرى دى كاسترى : لو لم يكن فى القرآن غير بهاء معانيه ، وجمال مبانيه لكفى بذلك أن يستولى على الأفكار ، ويأخذ بمجامع القلوب . ولقد نزل على محمد دليلا على صدق رسالته ، وهو لا يزال إلى يومنا هذا سرا من الأسرار التى يتعذر فك طلاسمها ، ولن يسبر غور هذا السر المكنون إلا من يصدق بأنه منزل من الله .

وقال جيبون :

القرآن مسلم بأنه الدستور الأساسى ، ليس لأصول الدين فحسب ، بل وللأحكام الجنائية والمدنية ، وللشرائع التى عليها مدار حياة النوع الانسانى ، وترتيب شئونه . وبعبارة أخرى هو القانون العام للعالم الاسلامى ، فهو قانون شامل للقوانين المدنية والتجارية والحربية والقضائية والجنائية .

وقال بوروث سميث :

من حسن حظ التاريخ أن محمداً أسس فى وقت واحد ثلاثة أشياء من عظائم الأمور ، وجلائل الأعمال ، فانه مؤسس لأمة وامبراطورية وديانة . . ومع أنه أمى ، فقد أتى بكتاب هو آية فى البلاغة ، ودستور للشرائع والصلاة والدين فى آن واحد ، وهو كتاب مقـــدس الى هذا اليوم عند سدس العالم ، وهو معجزة محمد القوية ، وحقا إنه لمعجزة .

وقال المسيو لبون :

حسب هذا الكتاب جلالة ومجدا أن الأربعة عشر قرنا التى مرت عليه لم تستطع أن تجفف ـ ولو بعض الشىء ـ من أسلوبه الذى لا يزال غضا كأن عهده بالوجود أمس .

ويقول جوستاف لوبون :

إن القرآن وما اشتق منه هو إلى الفطرة بحيث يلتئم مع حاجات الشعوب الأولية ، حتى إن قبوله آخذ حكمه على مر الأيام لا يعوقه عائق .

وقال جوته :

إن هذا الكتاب سيحافظ على تأثيره إلى الأبد ، لأن تعاليمه عملية مطابقة للحاجات الفكرية ، لقوم معتزين بتقاليدهم ، متمسكين بعاداتهم القديمة .

وقال كارليل :

إن علوية القرآن فى حقيقته العاليـــة ، فهو حافل بالعدل والاخلاص ، والدعوة التى بلغها محمد إلى العالم حق وحقيقة .

ويقول مانويل كنج من محاضرة له :

إذا كان فى عالم الالهام أمر يدعى وحيا ، وكان للوحى وجود كامل ، فلن يشك فى أن القرآن كتاب منزل .

وقال سديو فى كتابه « تاريخ بلاد العرب » :

القرآن جامع لكل أسس الأخلاق والفلسفة .

وقال الفيلسوف الفرنسى آلكسى لوازون :

خلف محمد للعالم كتابا هو آية البلاغة ، وسجل الأخلاق ، وهو كتاب مقدس. وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثا أو المكتشفات الحديثة مسألة تتعارض مع الأسس الاسلامية ، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية .

وقال الكاتب الأمريكى واشنطن ايرونج :

يحوى القرآن أسمى المبادىء وأكثرها فائدة وإخلاصاً .

تبارك الذى نزل الفرقان على

عبده ، ليكون للعالمين نذيرا

ـ (سورة الفرقان) ـ

القرآن هادى الإنسانية

طبع القرآن المسلمين الأولين على مكارم الخلق . ونبل النفس ، وقوة الايمان وجلال التضحية ، وجمال الايثار ، وبث فيهم الشعور بالمسئولية ، ونأى بهم عن عن الرذائل والمنكرات والشبهات ، وسار بهم إلى طاعة الله ومرضاته ، وحببه إليهم العدل والانصاف ، حتى لقد قتل عمر بن الخطاب خليفة المسلمين بيد خائن غادر لئيم ، فتكالب المسلمون علــى ابن ملجم ، فقال لهم عمر وهو فى الرمق الأخير : أطيبوا طعامه ، وألينوا فراشه، فإن أعش فأنا ولى دمه ، إما عفوت وإما قصصت ، وأن أمت فألحقوه بى ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . . فلم يصيخوا لكلامه فنادى فى أهله : يابنى عبد المطلب لا ألفنكم تخوضون فى دماء المسلمين خوضا ، أنظروا إذا أنامت من ضربته هذه ، فاضربوه ضربة بضربة ولا يمثل بالرجل ، فإنى سمعت رسول الله يقول : « إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور » .

هكذا كان المسلمون الاولون ، ولو وازنت بين ما قاله عمر ، وبين ما فعلوه فى أمريكا من القضاء على نحو أربعمائة نفس ،انتقاما من أهل جزيرة حاول اثنان من أهلها قتل ترومان لاستبداد حكامه بأهل الجزيرة ؛ ولو رأيت ما يفعله الحكام بالمحكومين حين يقتل منهم واحد ؛ لهالك الفرق بين عـــدالة الاسلام وعدالة الشرائع الوضعية الحديثة .ولقد مجد المؤتمر الدولى الذى اجتمع فى لاهاى منذ أعوام الشريعة الاسلامية التى قامت على أصول القرآن وأشاد بفضلها فسجل فى قراراته أن الشريعة الاسلامية ، تحمل العناصر الكافية التى تجعلها صالحة للتطور مع حاجات الزمن ،

هدى القرآن الانسانية كلها بما أذاعه من مبادىء سامية حاربت الفوضى والطغيان والوحشية والظلم والرق ونشرت فى العالم كله راية الامان والسلام والاخاء والحرية والمساواة والديمقراطية والتعاون والمحبة بين الناس كافة... اعترف القرآن للمرأة بحريتها وحقها فى الحياة ومساواتها للرجل فى شئون الدين والمال والحقوق والواجبات، واعترف بحرية الانسان وكرامته فى الحياة؛ وبحرية الجماعات والامم والشعوب؛ وحارب العصبية وحمية الجاهلية حربا لا هوادة فيها، وساوى بين الناس كافة؛ وجعل الناس إخوة؛ تجمعهم صلات قوية فى الله: يأيها الناس إنا خلقناكم ذكر أنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، وحرم الخمر والزنا والبغى والعدوان والظلم والسرقة، ونهب أموال الناس بالباطل؛ والمنكرات والرذائل ما ظهر منها وما بطن، والميتة والدم ولحم الخنزير. وأعلن حرية الرأى والعقيدة، « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى »

ورفع علم الشورى والديمقراطية والتعاون فى خدمة المجتمع والسلام والانسانية.

وحارب الترف الذى هو ألد أعداء الحضارة والتقدم؛ والذى سجل بيتان خطره على كيان الامم بعد هزيمة فرنسا فى الحرب العالمية الثانية بيد الالمان؛ فقال « لقد أتت الهزيمة من الانحلال؛ قد مرت روح الملذات واللهو ماشيدته روح التضحية... وحافظ الاسلام على كرامة الاسرة وعفاف المرأة وشرفها؛ فأقام الاسرة على أسس سليمة قوية لا يعتريها وهن أو انحلال ..وحث على الايثار وأن ينصب الفرد نفسه فى خدمة الفرد والجماعة. وأتى بأحدث المعارف فى خلق العالم وشئون الاجتماع وقوانين الصحة؛ ونظم الاقتصاد وفى السياسة.. وحرر الفكر الانسانى من جموده؛ وكشف مجاهل التاريخ وأحداثه، ووضع أصول المدنية الفاضلة؛ وحث على العلم والمعرفة وهدم الشرك والوثنية؛ والاهواء والاضاليل

والأوهام الفاسدة ، والأساطير الكاذبة . ووضع أصول العبادات والمعاملات الحسنة بين الناس ؛ وشرع الصلاة والزكاة والصوم والحج ، ودعا إلى الطهارة والنظافة وجمال المظهر وكمال المخبر .

وبعث الطموح والامل والحياة فى النفوس الانسانية ، لتعمل وتكد فى سبيل بناء الحضارة ، وعمران الدنيا .

وغرس الزهد والقناعة وحب الخير والحق والعدل والانصاف فى كل قلب .

فهل وراء ذلك غاية لطامح ، وأمل لانسان أو مصلح ؟

حقا إن القرآن دستور الاسلام ، وهادى الانسانية الامين ، ومنقذها من الضلال والظلام .

مبادىء الاسلام هى السبب فى انتشاره

كان المسلمون منذ بدأوا حياتهم الحافلة : بعد أن انبثق نور الاسلام وبزغ على العرب فجر عهد جديد ، فى كفاح ونضال وجهاد مستمر . حاربوا طغيان الافراد والجماعات والشعوب فظفروا ظفرا مؤزرا ، اولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ، ، واكتسحوا الدول والاقطار ناشرين لهداية الله مؤيدين بروحه وأمنه ، حتى انتشر الاسلام فى كل مكان ، وعم ضوءه الآفاق

وكان هذا النصر العظيم معجزة كبرى بهرت الناس ، وحيرت المفكرين ؛ لأنه نصر خارق ، شمل جميع الميادين : الحربية والسياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والفكرية « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ؛ ولله عاقبة الأمور » ، فشملت الدولة الاسلامية اكبر أمم العالم المعروف آنذاك ؛ وكانت العواصم الاسلامية هى محور السياسة العامة ومحط أنظار الناس.

والنظم الاقتصادية التى شرعها الاسلام كانت هى النظم السائدة بين جميع هذه الشعوب . والثقافة الاسلامية كانت هى المنهل العذب الذى ترنو اليه العقول والعيون ، ويستمد منه الناس ثقافتهم وعلومهم وفنونهم وآدابهم . والنظام الاجتماعى الذى وضعه الاسلام ؛ وكفل التضامن الاجتماعى بين الافراد والجماعات والطبقات ، وجعل الغنى والفقير والكبير والصغير والامير والعامل إخوة متحابين فى الله ، هذا النظام الرائع هو الذى كانت تحلم بأن تحيا فى ظلاله أمبراطوريات كسرى وقيصر وشارلمان ، والذى ارتمت فى أحضانه كثير من البلاد والامم ، وكذلك مناهج التفكير العامة وألوان الحضارة المشرقة عند المسلمين ؛ كانتا هما السائدين فى البلاد الخاضعة لنفوذ الاسلام ؟ فوق أنهما من الآمال العزيزة التى كان يحلم بها ويأمل العيش فى ظلالها الملوك والامراء والعلماء والعامة فى جميع الاقطار

هذا التقدم العظيم والروح الوثاب ؛ والنهضة الجبارة كان منشؤها الدين نفسه ، وشريعة الاسلام بما اشتملت عليه من آداب ونظم وأخلاق ومثل وعبادات ومعاملات ونواميس وأهداف... فبادىء الاسلام نفسها هى السبب الاول فى نشره وارتماء الامم فى احضانه :

فقد حارب الاسلام الضعف بجميع صوره وألوانه :

حاربه فى الفرد : فدعا إلى أن يكون المسلم قويا عزيزا كريما كما يقول الرسول الكريم « المؤمن القوى خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف ؛ ويقول « اليد العليا خير من اليد السفلى » أى المعطى خير من السائل ؛ ودعا إلى العمل والجهاد فى سبيل العيش « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » وقدس حرمة الاموال والاعراض : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله »

وحاربه فى المجتمع ، فقضى على الرذائل والشرور ، وعاقب عليها عقابا صارما؛ وأمر بشتى الفضائل الاجتماعية ، التى تكسب المجتمع قوة وأمنا وطهرا وخيرا ؛ وشرع قاعدة اجتماعية مثلى ، تصور لك آداب الاسلام وأصول دعوته، وتبين لك إلى أى مدى كان التضامن الاجتماعى يسود الطبقات والجماعات فى ظلال الاسلام ، وهى كما يقول الرسول الكريم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وكما جاء فى الأثر : عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ، وهذا نظام اجتماعى أساسه حب مصلحة الغير ، والمحافظة على حقوق الناس ، وتعود الايثار والبر والخير والرحمة والتعاون ، ومقت الأثرة ، وبهذا وثق الصلات بين الأغنياء والفقراء، كما قضى على العصبيات، ونشر الانصاف والعدالة والحق والمساواة بين الناس جميعا . ودعا الرأى العام الذى ربى على أصول دعوة الاسلام الى أن يكون يقظا قويا جريئا ، لا يخشى فى الله لومة لائم ، بل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويقف فى وجه الظلم والطغيان .

وحارب الضعف فى الأمة ، لجعل راعيها هو القوام على حقوقها ، والأمين على مصالحها ، والذائد الحامى الذمار عن أحسابها وشرفها وكرامتها ، والحاكم العادل الذى ينشر الأمن ، ويبعث الرحمة ، ويسوى بين الناس ، ويعطى كل ذى حق حقه .

ودعا الناس ـ مع دعوته إلى تكوين الأخوة الاسلامية القوية ـ إلى أخوة إنسانية عامة شـــاملة ، لا فرق بين الأمم والعناصر والعقائد والمذاهب : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

وهذا كله هو السبب فى مجد المسلمين الأولين وسيادتهم، إذ آمنوا بهذه المبادىء ونهجوا على طريقها فى حياتهم وآدابهم وسلوكهم، وهو السبب فى انتشار الاسلام بسرعة خارقة للعادة فى جميع الأقطار والأمصار .

دفاع عن الإسلام

لا يزال الاسلام كما كان حارس المدنية الأمين ، والمنقذ الاكبر للناس من الفوضى والانحلال ، والداعى للنهضة والتقدم والرقى ، والباعث على الخير والبر والاحسان والرحمة ، والمقوم لأفكار المسلمين من الزيغ والضلال والهوى والشر ، والحائل بينهم وبين المبادىء الهدامة ، والأفكار الباطلة .

هو الساعد القوى للحكومات على نشر الأمن والسلام والحب والتعاون فى قلوب المسلمين كافة ، فهو الذى يثقف العقول ويهذب النفوس ويحيى الضمائر ويرهف الاحساس ويحفز إلى الخير ويقيم من المجتمع الاسلامى وحدة تامة تسودها الاخاء والمساواة والحب والتعاون .

الاسلام حقائق واضحة ، وروح سمح ، وتجديد مستمر فى بناء النهضة ، ودفاع عن العدالة والحق والسلام . وليس طغيانا وعدوانا وإزهاقا للارواح وسلبا للاموال وحبا للجريمة ورغبة فى الافساد .

وإذا كانت العامة لا تفهم الدين على حقيقته فى الزمن الماضى ، فما أجدرهم بالوقوف على حقائقه وفهمه حق الفهم فى عصرنا الراهن بعد أن يسرت سبل الثقافة الاسلامية وفهمها . ولقد كان انحراف العامة من المسلمين عن الدين سببا فى هذه التهمة الباطلة التى رددها المتعصبون من الأوربيين ، وهى أن الاسلام يقف فى طريق النهضة والحضارة لانه دين الجمود والخمول .

ألا كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبا ، قل لى بربك متى وقف الاسلام فى طريق النهضة وهو الذى نشر الحضارة والثقافة فى العالم ، ودعى العلوم والآداب فى عصور الظلام والفوضى ، ومهد لعصر الاحياء ، وساعد

على حفظ وتجديد تراث الانسانية الروحى والأدبى . وقل لى بربك متى كان الاسلام دين الجمود وهو الذى دعا إلى أروع المبادىء الروحية والاجتماعية والسياسية والانسانية منذ اربعة عشر قرنا من الزمان ، ونشر مبادىء الحق والعدالة والاخاء والمساواة والديمقراطية الصحيحة قبـــل الثورة الفرنسية بأجيال مديدة

لايزال الاسلام كما كان وكما يصوره ابو سفيان بن حرب عدوه اللدود حين سأله هرقل عن دعوة محمد فقال : « يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف وصلة الرحم » . ولم يكن رسوله الاكبر زعيما دينيا متعصبا ، بل كان ملكا رحيما بالناس والحياة فأنقذ البشرية ودعا إلى تحررها وتجديدها ، وكان كما يقول حتى خصومه فى وصفه : « يصل الرحم ، ويحمل الكل ، ويكسب المعدوم ، ويعين على نوائب الحق »

ومع ذلك كله فلا بد من أن نفهم ديننا فهما صحيحا وأن يكون سلوكنا فى الحياة وفق نواميسه حتى لا يرمى الاسلام بسببنا بتهم باطلة :

ما أجدرنا أن نؤمن بالدين إيمانا صحيحا ، وأن نفىء الى الله وإلى الحق والاسلام .

****

ان الدين عنـــد الله الاســـلام
- ١٩ آل عمران -

ومن يبتغ غير الأسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين
- ٨٥ آل عمران -

الإسلام دين الحق والقوة

ضربت لنا الأمم العظيمة فى الأرض أروع مثل . وأظهرت أمجد آيات القوة والبطولة والعزة والاباء ، فضحت بكل شيء . وبكل عزيز فى سبيل مجد الحياة وعزة الأبد ، وناضلت نضال الأبطال لتفوز بتقدير الاجيال .

كل هذا والمسلمون صامتون لا ينطقون ولا يعملون ، يضحكون ولا يبكون ويلهون ولا يجدون . ويتناصرون لا على مجد بلادهم ولكن على مجد أشخاصهم فويل لهؤلاء المسلمين الذين لم يبلغ الايمان قلوبهم ، فرددوه أقوالا ، ولم يؤدوه شرائع وعبادات وأعمالا .

الاسلام دين القوة ، فما بال المسلمين اليوم أهون الأمم على الناس ؟ وهو دين الجهاد والكفاح والعزيمة الطامحة ، فأين هؤلاء المسلمون . وأين أولئك المؤمنون وأين أبطال الأمس ، الذين التفوا حول محمد ينشرون دعوته ويبلغون رسالته ويمجدون شريعته . ويضحون بدمائهم وأرواحهم فى سبيل كلمة الله ودعوة الحق والسلام .

محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار . وهو الذى كافح كفاح الأبطال ، وجاهد جهادا خالدا لم تعرفه الدنيا . لانقاذ البشرية من ضلالاتها وأوهامها ، وهو الذى سخر بقومه وبكل ما حشدوه لمقاومته من ألوان الاضطهاد وقال لهم كلمته الخالدة ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر ما تركته ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه . وشرع أصحابه ومن آمن به يؤيدون شريعة السماء بالسيوف وبالدماء الطاهرة ، والأرواح المؤمنة الغالية ، التى أقسمت أن تقيم على أشلائها المتناثرة

صروح المجد الخالد للاسلام والمسلمين .

الاسلام دين القوة وهو دين الحق فاذا كانت بعض الحضارات القديمة أو الحديثة تؤمن بالقوة وحدها ، وإذا كانت بعض الأمم تؤمن بالحق وحده . فان الإسلام يدعو الى القوة والى الحق جميعا ويريدهما معا ليبني على أساسهما صرح الخير للناس كافة .

الحق والقوة هما الاسلام والاسلام هو القوة والحق . فهو دين الحق ، لانه الدين الطاهر المنزل من السماء ليدعو الناس كافة الى الحق والى العدالة والايمان الذى أن الانسانية العليا والى تقديس الحقوق وحماية الحرمات وأداء الواجبات والاخلاص فى الطاعات والعبادات لله رب العالمين . وليدعوهم الى الاعتزاز بالشرف والوفاء بالعهد وأداء الأمانات . ثم هو دين القوة لانه يحارب الضعف الانسانى فى جميع مظاهره . يحارب الضعف فى الأفراد فلا يريدهم مرضى ولا كسالى ولا عجزة ولا جاهلين ولا منافقين ولا مرائين ولا كذابين ولا خائنين وانما يريدهم أصحاء فى أبدانهم أقوياء بأخلاقهم ونفوسهم وعلمهم ، يريدهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر وحافظين لحدود الله ، ويريدهم مثلا عليا فى صراحة القول وصدق الحديث وقوة الخلق والعطف على الفقير ومواساة البائس والمسكين ، ويأمرهم بالسعى فى سبيل الرزق ، واليك ما جاء فى هذا المعنى من الكتاب والسنة ، فمن الكتاب قوله تعالى : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » وقوله : فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله . ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم : « اليد العليا خير من اليد السفلى » ، وشتان عند الله بين المؤمن القوى والمؤمن الضعيف . (وضرب الله مثلا رجلين : أحدهما أبكم لا يقدر على شىء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ، هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ؟) ، وكذلك حارب الاسلام

الضعف فى المجتمع . فنظم شئون الاسرة وساوى بين الطبقات ، وجعل أساس مجد الانسان عمله « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وأساس العلاقة الاجتماعية بين الناس أن يحب المسلم لاخيه ما يحب لنفسه ، فلا قتل ولا زنا ولا سرقة ولا ربا ولا غش ولا خداع ولا شقاق ولا رياء ولا غرور ولا خيلاء ولا فساد فى الأرض ،ولكن اصلاح وخير وتعاون بين الناس - المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » . وكذلك حارب الاسلام الضعف فى الأمة فوحدها وحفظ لها كيانها وحريتها وإرادتها ، وساوى بين الشعوب فلا سيد ولا مسود ، وأمر المسلمين بأن يعـــدوا لأعداء الله ما استطاعوا من قوة . . وكذلك حارب الضعف فى الانسانية كافة فوجه جميع الامم والشعوب الى التعاون وحب الخير وايثار الحق والقضاء على أسباب الشقاق والنزاع وأن تولى وجهها شطر الخالق العظيم مالك الارض والسماء .

فالاسلام دين الحق والقوة جميعا ، لانه لا يعتمد على الحق وحده ، وان كان الحق فى ذاته قوة ، ولا يريد القوة وحدها : القوة الطاغية المدمرة التى تسعى فى الأرض لتفسد فيها وتهلك الحرث والنسل ، ولكن يريد القوة التى تأتمر بأمر الحق .

نعم الاسلام حق وقوة ، وبهما ساد المسلمون وكانت لهم العزة فى الأرض والسيادة بين الناس ، ولكننا اليوم جهلنا أمور الدين وأصوله ؛ فذهب مجدنا التليد ،وتنكر لنا الماضى المجيد ؛ وتجهم فى وجهنا الدهر والناس ، وعاد الدين غريبا كما بدأ غريبا . وان اليوم الذى نكون فيه على الحق وتكون فيه معنا القوة لهو اليوم الذى يصالحنا فيه المجد ، وتبتسم لنا فيه الحياة . ونتبوأ فيه من جديد مكان السيادة والعزة بين الناس « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم و اذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال » .

الشعور بالمسئولية أساس الحضارة فى الاسلام

الحضارة فى مذاهب المفكرين يقصد بها هذه المنزلة العالية التى تبلغها بعض الأمم من الرقى العام والنشاط الفكرى الخصب والحرية الكاملة بأوسع معانيها

وبقدر منزلة الأمة من الحضارة تكون مكانتها بين الدول والشعوب فالحضارة هى غاية ما يبلغه الانسان . وهى المثل الاعلى للجماعات ونهاية المطاف فى تاريخ الانسانية

وفى وسع الانسان ان يخلق لنفسه ولمجتمعه ألوانا من الحضارة يتمتع بها ويعيش فى ظلها . ولذلك وجدت الحضارات القديمة من غابر الاجيال . ولكن لا يمكن أن توجد شتى ألوان الحضارة فى عصر واحد . لأن الحضارة متجددة بتجدد العصور وتطور الانسانية فى مدارج الكشف والابتكار . والذين يعيشون الآن يخلون من سبقوهم من أهل القرن الماضى بدائيين أو شبه بدائيين

كانت الحضارات القديمة تقوم على المادة والاستعباد والفوارق الكبيرة بين الطبقات فلم يظهر فيها أثر للشخصية الانسانية أو الطابع الشخصى والفكرة الذاتية وحرية الخلق والابتكار

أما الحضارة الاسلامية فقامت على أسس رفيعة من المثل العليا ، والآداب الكريمة والمبادىء القويمة ، فجمعت بين المادة والروح ، والدنيا والآخرة

وفى عهد الثورة الفرنسية كانت الحرية والاخاء والمساواة أنشودة الأمم الساعية فى مواكب التقدم إلى المجد والحضارة

ونحن الآن نسمع الاراء المتباينة عن الأسس الأولى التى تقوم عليها الحضارة الانسانية ، أتقوم على المال أو على العلم أو على الحرية أو على البواعث الرفيعة التى تدفع الانسان إلى الخلق والابتكار ، ولكن الاسلام يجعل أساس الحضارة

هو الشعور بالمسؤولية . شعور الفرد بواجبه والمجتمع بمهمته فى الحياة والأمة برسالتها فى خدمة البشرية كافة

فشعور الفرد بمسؤوليته يحفزه الى العمل لخير نفسه وأسرته والمجتمع الذى يعيش فيه والأمة التى هو مدين لها

وشعور المجتمع بمسؤوليته يدعو الى الاصلاح والتجديد والنشاط المستمر ، للعمل على رفاهية الشعب وخير الوطن ومستقبله .فيحارب الجهل والفقر والمرض والخوف والاستعباد ويعمل على نشر الطمأنينة والأمن والسلام والحرية والكرامة

وشعور الزعماء بمسؤوليتهم يدعوهم إلى الجهاد فى سبيل تقدم الشعب وحريته ورفع منزلته بين الجماعات الانسانية العاملة فى ميدان الحياة

وشعور الأمة بمسؤوليتها يدعو إلى المحافظة على حريتها والذود عن كرامتها والحرص على أمنها وسلامتها والعمل الجاد فى سبيل رفاهيتها وعزتها ومجدها ، لتسير الى الحياة الكريمة مع السائرين فى مواكب الانسانية والحضارة ولتدعم مكانها بين الشعوب الحية العظيمة ولتؤدى رسالتها الكاملة فى الحياة

الشعور بالمسؤولية هو الفارق بين الشعوب المتأخرة والشعوب الحية المتحضرة وهو أهم عنصر فى الديانات والشرائع والقوانين وأول عامـــل على حفظ نظام الحياة وعلى بلوغ الانسانية والحضارة اهدافهما الصحيحة . وبحق هو أساس الحضارة

ويشتد شعور الرجل بالمسؤولية كلما عظمت رسالته فى الحياة ، فالانبياء والمفكرون والزعماء والمصلحون هم اكثر الناس جهاداً ونضالاً فى سبيل اداء ما حملوه من مسؤوليات جسام وتبعات كبيرة

وكلما عظم إيمان الانسان بدين أو مبدأ أو فكرة كان اكثر شعوراً بمسؤوليته واسرع عملا من اجلها واكبر نشاطا فى سبيل اداء الامانة التى حملها

فلنستمد الشعور بالانسانية من حرارة الايمان وقوة العقيدة ومن مبادئنا القويمة التى نؤمن بها ، ونعمل لها ، ونضحى فى سبيلها بكل شىء

ولنرب الشعور بالمسؤولية فى التلميذ والشاب والرجل والمرأة والعامل والتاجر والصانع والزارع والموظف والكبير والصغير والغنى والفقير والرئيس والمرءوس فذلك هو السبيل الى المجد وعظمة الحياة وخلودها

لنمض فى طريقنا تدفعنا قوة العزيمة وحرارة العقيدة وسمو الهدف وجلال الغاية والشعور الكامل بالمسؤولية ، كل على قدر طاقته وحسب مستواه

وصدق محمد رسول الله فيما قال : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالامام راع فى أهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسؤولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع فى مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته . فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته »

****

انا عرضنا الأمانة على السموات
والأرض والجبال فأبين أن يحملنها
وأشفقن منها . وحملها الانسان ، إنه كان
ظلوما جهولا . . .

— ٧٢ سورة الأحزاب —

(٢)
الإسلام وحقوق الإنسان

الإسلام يقرر الحقوق الأساسية للإنسان

هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ؛ ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون

(٩ سورة الصف)

وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان : ولكن جعلناه نورا ، نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى الى صراط مستقيم : صراط الله ، الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ...

(٥٢ و ٥٣ الشورى)

حرية واخاء ومساواة

١ — حرية العقل والفكر والرأى ؛ وحرية التصرف والعمل ؛ والحريات العامة ؛ والحرية الشخصية ؛ كل هذه الحريات قد كفلها ورعاها الاسلام وكتابه الكريم ؛ ولعلك قرأت كلمة عمر الخالدة لواليه عمرو بن العاص : كيف تستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ » . لا يقيد الانسان أى شىء من قيود السياسة والحكام والطغاة ، ولا يحجر عليه رجال الدين ؛ ولا يحول بينه وبين التصرف أب أو جد مادام قد بلغ سن الرشد ، ولا يمنعه من التصرف فى ماله أحد إلا بأسباب شرعية وفى ظروف خاصة . لكل فرد أن يبدى رأيه فى سياسة الحاكم ويناقشه الحساب ، ولعلك أيها القارىء تذكر كلمات عمر المأثورة : « إن رأيتمونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فقومونى » ، « وأطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم » ، « وإنى وليت عليكم ولست بخيركم » . بل لعلك تعرف مناقشة امرأة له فى فكرة تحديد المهور ، وردها عليه وقوله لها وقد ذكرته بالحق : « اصابت امرأة وأخطأ عمر » .. الصلة بين الرؤساء والمرءوسين صلة الأب بأبنائه والراعى برعيته : « الامام راع ومسئول عن رعيته » ، وأمور الناس تحكم بالشورى : « وشاورهم فى الأمر » ، « وأمرهم شورى بينهم » ، حتى حرية الدين نص عليها القرآن الكريم بقوله تعالى : « لا إكراه فى الدين » ؛ مادام هذا الدين الذى يؤمن به الانسان دينا سماويا صحيحا . أما الشرك والوثنية فلا يعترف بهما الاسلام لأنهما انتكاس فى الانسانية ؛ وطمس للفطرة الألهية ، وقضاء على كرامة الانسان وعقله ووجوده الفكرى والروحى والأدبى والاجتماعى .

أين هذه الحرية الآن فى القرن العشرين عصر الكهرباء والذرة والعلم ؟ أين حريات الأمم السياسية وحريات الرأى والفكر والحريات الشخصية ؟ إنها أوهام وخيالات لا وجود لها فى كثير من الأحيان رغم أن المفكرين قد سئموا من الدعوة إليها ، ورغم حماية القوانين العامة للهيئات الدولية والأمم المتمدينة لهذه الحريات

ليست الحرية فى الاسلام حرية فى الهدم ولكن فى البناء ، إنها الحرية التى لا يحدها شىء إلا توجيه الضمير ، ورقابة الروح الدينى فى النفس ، ونزعات الفطرة الانسانية فى الانسان .

حرية عامة شاملة ، تعم الحاكم والمحكوم ، وتشمل الشعوب الصغيرة والكبيرة ، ويطلقها الاسلام لكل مسلم ومسلمة ، وتتناول الشعب الفاتح والشعوب المغلوبة على السواء . فأين هذا من الحرية عند الغرب التى لا يتمتع بها إلا السادة المستعمرون أما الشعوب المستعبدة فتعيش فى أشد استعباد ، وأفظع ضغط على حريات الناس الخاصة والعامة فيها

٢ — وأما الاخاء فى الاسلام فهو إخاء عام شامل ـ المؤمنون جميعا ، بل الناس كافة ، إخوة فى الله وإخوة فى الانسانية . « إنما المؤمنون إخوة » ، « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ، حتى الخدم جعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إخوان المخدومين ، فقال : « إخوانكم خولكم » . ألغى الاسلام نظام الطبقات ، وألغى العنصرية الكاذبة والعصبيات الحمقاء ، وألغى نظام الالقاب « المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » ، « والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، « ومثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد » « الناس من آدم وآدم من تراب » . . الحسب والنسب والمال لا تغنى عن الانسان شيئا . وهل فى ذلك أبلغ من قوله صلى الله عليه لابنته : يا فاطمة اعملى ، فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا » ، وقوله صلى الله عليه : « إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية

وتعظمها بالآثام ، ، ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه ، .

فأين هذا مما تعمله أمريكا الديمقراطية فى رعاياها اليوم: البيض لهم كل شىء فى فى الدولة ؛ والزنوج السود لا حق لهم على الاطلاق ؛ بل ليسوا مثل أولئك فى البشرية وفى الكرامة الادبية فى الحياة ؟

٣ — وأما المساواة فى الأسلام فهى مساواة كامـــلة ؛ بين المرأة والرجل والصغير والكبير ، والمحكوم والحاكم ، بين جميع الطبقات والجماعات ؛ بين الاغنياء والفقراء .

مساواة لا تعرف فيها ظلما ؛ ولا عنتا ، ولا أثاما . القانون الاسلامى يشمل الجميع لافرق إنسان وإنسان ، والعدالة تطبق على الجميع بلا محسوبية ولا استثناء يقول رسول الله : والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ، ـ وزعت الحقوق والواجبات على الافراد على حد سواء ، وفتح الاسلام أفاق الوصول إلى أسمى الغايات أمام المتنافسين من كل جنس ولون أمة ، حتى لقد ولى رسول الله بلالا على المدينة وفيها سادة المسلمين من الانصار والمهاجرين ، وبلال عبد حبشى اشتراه ابو بكر واعتقه ، واسند إلى مهران الفارسى ولاية اليمن وهو من صميم الفرس فلما مات اسندها إلى ابنه . . ويقول رسول الله فى سلمان الفارسى الاعجمى : سلمان منا اهل البيت .

وقد سار خلفاء محمد على نهجه فى المساواة التامة بين الناس والمسلمين كافة ، قال الحسن البصرى : حضر باب عمر سهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام ؛ وابو سفيان بن حرب فى نفر من قريش من تلك الرءوس ؛ وصهيب وبلال من اولئك الموالى ـ أى الذين كانوا عبيدا قبل الاسلام وهم من عناصر غير عربية ـ وقد شهدوا بدرا ، فخرج إذن عمر لاولئك الموالى وأخر السادة ، فقال ابو سفيان : لم أر كاليوم قط ؛ يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه لايلتفت إلينا !! فقال سهيل

وكان رجلا حصيفا : إن كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم ، دعى القوم ودعيتم ، فأسرعوا وأبطأتم ، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم ؟

ألغى الاسلام الامتيازات الفردية والطائفية ، ومحا مابين الطبقات من الفروق فى الحقوق والواجبات ، ووحد الشريعة ، وأخضع لها الكافة لافرق بين حاكم ومحكوم فى عصر كان الناس فيه يؤمنون بأن الحاكم ظل الله فى أرضه.. عدالة تامة بين الجميع . حتى لقد شكا يهودى على بن أبى طالب إلى عمر فى خصومة ، فأحضرهما عمر أمير المؤمنين ، وقال عمر لعلى : قف يا (أبا الحسين) بجانب خصمك . فبدا التأثر على وجه على ، فقال له عمر : أكرهت ياعلى أن تقف الى جانب خصمك فقال : لا يا أمير المؤمنين ولكنى رأيتك لم تسو بينى وبينه ، إذ عظمتنى بالتكنية ولم تكنه . ورأى عمر رجلا وامرأة على فاحشة فجمع الناس وخطبهم وقال : مارأيكم اذا رأى أمير المؤمنين رجلا وامرأة على فاحشة فنهض اليه على قائلا : يأتى على صحة قوله بأربعة شهداء وإلا فيقام عليه حد القذف .

إن المساواة تامة فى كل شىء بين الناس عامة فى الاسلام. مساواة فى الحقوق والواجبات وفى الكرامة وأمام القانون لان الناس خلقوا متساوين فى حكم الله ، « لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى والعمل الصالح » ، « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ، ويقول عمر : أما والله ما أرسل عمالى اليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا اموالكم ولكن ارسلتهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم . فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه الى ، فوالذى نفسى بيده اذن لا قصنه منه ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه يقص من نفسه » . . . ويقول الاستاذ الكبير محمد عرفة :

« المساواة فى الاسلام مساواة بين البشر لا فرق عنده بين أبيضهم وأسودهم ، وغنيهم وفقيرهم ، وخاصتهم وعامتهم ، فكلهم لادم وآدم من تراب ، حتى العرب

الذين هم حاملوه والناشرون له والذين كانت لهم ولاية الحكم لا امتياز لهم على غيرهم من الامم « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » . وقد قرر الاسلام مبدأ المساواة فى غير ما آية :

« يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . فهو يقول إنه جعلكم شعوبا وقبائل للتعارف فكيف تجعلونه سببا للتناكر والعصبية الممقوتة الذميمة ؟!

وقال : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام إن الله كان عليكم رقيبا » . فهو يذكرهم بأنهم أبناء أب واحد وأم واحدة ، فهم مهما بعدت ديارهم واختلفت أجناسهم وتباينت ألوانهم إخوة وذوو رحم . ولعل وصايته بالارحام بعد ذلك وصاية بنى الانسان جميعا ، إذ قد أثبت لهم قبل ذلك قرابة ورحما .

جعل الاسلام المساواة مبدأ ، وأخذ يصدر عنها فى كثير من الوقائع والاحكام ، قال قتادة : كان أهل الجاهلية فيهم بغى وطاعة للشيطان ، فكان الحى إذا كان فيهم عزة ومنعة فقتل عبد قوم آخرين عبدا لهم قالوا لا نقتل به الا حرا ، تعززا لفضلهم على غيرهم فى أنفسهم ؛ واذا قتلت لهم امرأة قوم آخرين امرأة قالوا لا نقتل بها الا رجلا ، فأنزل الله : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى : الحر بالحر . والعبد بالعبد ، والانثى بالانثى » . نهاهم عن البغى والعدوان والا يقتلوا غير القاتل ، وألا يتعززوا على غيرهم فيقتلوا بعبدهم حرا وبالمرأة منهم رجلا ، وبالحر الواحد منهم أحرارا كثيرا ، وأنزل صدورا عن هذا المبدأ : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين والانف بالانف

والاذن بالاذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص » . وفى هذه الاية تقرير للمساواة فى النفوس والاعضاء والجوارح

لقد سوى الاسلام بين الناس فى الحقوق والواجبات وجعلهم سواء أمام الشريعة ، فالشريعة ماضية عليهم جميعهم .

روى أن امرأة من بنى مخزوم سرقت فقالت قريش : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أى ليضع عنها الحد ، ومن يجترىء عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فكلم رسول الله ، فقال الرسول : أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ! ثم قام فخطب فقال « يأيها الناس انما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

هذه مساواة بين الشرفاء والضعفاء فى الحدود ، فلا توضع عن شريف لشرفه اذا ارتكب موجبها ، وبين الرسول أن التفرقة بين الضعفاء والشرفاء فى الحدود كانت العلة فى ضلال الامم السالفة .

ويقول عبد الرحمن عزام باشا يصف المساواة فى الاسلام من كلمة له :

« أشير الى معنى أساسى من معانى الاسلام هو من أعظم مبادئه فى مقاومة الشرور الاجتماعية ، ذلك هو مبدأ المساواة الذى يسيطر على تصرفات المسلمين فى عباداتهم ومعاملاتهم وآدابهم ، فالمسلون جميعا عباد الله يسعى بذمتهم أدناهم وأفضلهم عند الله اتقاهم

ذلك المعنى متى رسخ فى أذهان الملوك والامراء والحكام والعامة والفقراء والاغنياء والملاك والعمال كما يريده الاسلام استحالت معه التفرقة الاجتماعية وما يترتب عليها من حسد وبغض وخلاف وشر ، ثم قتال وفساد للمجتمع

بتسلط الاقوياء على المستضعفين أو بظهور المستضعفين واستذلالهم لمن كانوا أقوياء.

ان مبدأ المساواة شائع الآن بشرائع مصطنعة ومظاهر فى القول والقانون ولكنه لم يستقر فى النفوس والضمائر ولم يختلط اختلاطا كليا بجميع مصادر الحياة ومواردها كما هو فى الاسلام

فالمسلم يحس فى قرارة نفسه أنه مساو لخادمه، وأن الخادم قد يكون أفضل منه عند الله ويخشى أن يصيبه شك فى هذا مخافة غضب الله الذى خلق الناس من نفس واحدة متساوين أحرارا .

فالمساواة بهذا المعنى العظيم هى فى نظرى أكبر الضمان ضد الشرور والآفات الاجتماعية التى زلزلت الأمم ، والتى قد تكون أساسا لأكثر هذه الحروب المهلكة للبشر.

فالديمقراطية الاسلامية التى هى أساس الحكم الصالح والحياة السعيدة هى ديمقراطية لا شبيه لها ، وليست المظاهرة الخادعة من أشكال الحكم على تنوعها بواجدة مثل تلك الديمقراطية ، فان أساسها فى الضمير ، فلو أنها استقرت فى الحياة الحالية واتخذت سبيلها الذى أراده الاسلام لكانت كفيلة بالقضاء على أعظم مصادر الشر وآفاته الاجتماعية.

والفروق الطبيعية بين الناس من الذكاء والحسب والجاه والمال والعلم، حاول الاسلام تخفيف أثرها ، بتقريب الطبقات بعضها إلى بعض ، وباشتراكية الاسلام العادلة فى الزكاة والضرائب وأموال المسلمين وردها على الفقراء ، وصرفها للمساكين ، وبما فرضه الاسلام على العالم أن يرشد الجاهل ، وعلى الصحيح أن يواسى المريض ، وعلى الغنى أن يعطف على الفقير ، وعلى الكبير أن يرحم الصغير.

حرية وإخاء ومساواة لم يعرف للاسلام فيها نظير أو شبيه ، لأنه دين الحق والبينة والاخلاص ، الدين الذى جاء لانقاذ البشرية والنهوض بها من الذلة إلى

العزة ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الفقر إلى الرخاء ، ومن البداوة إلى الحضارة . حتى لقد قال برناردشو : لا بد أن تعتنق الامبراطورية البريطانية النظم الاسلامية قبل نهاية هذا القرن . ولو أن محمدا بعث فى هذا العصر ، لقاد العالم إلى السلام والسعادة المنشودة .

وقال توماس كارليل : « لقد أصبح من العار على أى فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى ما يقال من أن الدين الاسلامى باطل، وأن محمدا خداع ومزوزر ، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل تلك الاقوال السخيفة المخجلة ، فإن الرسالة التى أداها ذلك الرسول الكريم ، مازالت السراج المنير مدة ثلاثة عشر قرنا لنحو مائتى مليون من الناس أمثالنا ، خلقهم الله الذى خلقنا » : وقال تولستوى . « إن النبى محمدا من عظام الرجال المصلحين ، ليكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها إلى الحق ، وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام » .

ليست الثورة الفرنسية ، ولا مبادىء عصبة الامم ، ولا صكوك هيئة الامم المتحدة ، ولا قرارات لجنة حقوق الانسان ، هى التى أذاعت هذه المبادىء .

ولكن الذى سبق فأذاعها ونشرها وطبقها تطبيقا سليما قويا عاما ، هو محمد وشريعته الاسلام الدين الخالد الكريم من نحو أربعة عشر قرنا من الزمان .

الناس فى الاسلام سواء

بين يدى القانون وأمام العدالة

حق وكرامة وإنصاف ورحمة وحرية

وهل بلغت الديمقراطية والعدالة فى أمة من الأمم ، أو شريعة من الشرائع الحد الذى وصلت إليه عند المسلمين وفى شريعتهم ودينهم الكريم .

عدل مطلق ، لا يقيده قيد ، ولا يحده حد ، لا يقف عند طائفة أو بيئة أو عنصر ؛ ليس أمامه شريف ووضيع ، ولا أبيض وأسود ، بل ولا مؤمن ومشرك . . عدل كامل ، وحرص شامل على إعطاء الحقوق لأصحابها ، فالناس سواء أمام القانون وبين يدى العدالة . يقول عمر من وصيته لأبى موسى الأشعرى : لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك » . ويقول الله تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن - أى لا يحملنكم عداوة - قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » . وقصة عمر وعمرو بن العاص مشهورة ، فقد حدث ان ضرب ابن لعمرو رجلا من العامة لأمر حدث منه ، قائلا له : انا ابن الأكرمين ، فلما جاء موسم الحج ذهب الرجل إلى المدينة ليرفع شكاته إلى عمر أمير المؤمنين ، فبلغ عمر مظلمته ، وهو فى حشد من زعماء المسلمين وفيهم عمرو بن العاص وابنه ، فعلم عمر الحق فى الشكوى ، فناول الرجل درته ، وقال له : اضرب ابن الأكرمين . كما ضربك ثم قال لعمرو . « متى تستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » .

وفى المأثور عن رسول الله : أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ؛ ليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد ، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

ويقول عمر فى وصيته لسعد بن أبى وقاص : إن الله ليس بينه و بين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء » .

ويقول فى وصيته للخليفة من بعده : « اجعل الناس عندك سواء ، لا تبال

على من وجب الحق ، ثم لا تأخـــذك فى الله لومـــة لائم ، وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله »

وفيما يؤثر عن الرسول : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب »

ويروى أن سليمان بن عـــبد الملك الخليفة الأموى المشهور لمـــا حج قدم المدينة للزيارة وبعث إلى أبى حازم وعنده ابن شهاب الزهرى ، فلما دخل عليه قال : تكلم يا أبا حازم ، قال : فيم أتكلم يا أمير المؤمنين ، قال : فى المخرج من هذا الأمر ، قال : يسير إن أنت فعلته ، قال : وما ذاك ؟ قال : لا تأخذ الأشياء إلا من حلها ، ولا تضعها إلا فى أهلها ، قال ومن يقوى عـــلى ذلك ؟ قال من قلده الله من أمر الرعية ما قلدك ، قال عظنى يا أبا حازم . قال اعـــلم أن هذا الأمر لم يصل إليك إلا بموت من كان قبلك ، وهو خارج من يديك بمثل ما صار إليك ، قال يا أبا حازم أشر على ، قال إنما أنت سوق فما نفق عندك حمل إليك من خير أو شر ، فاختر أيهما شئت .

ولمـــا أرسل قيصر رسولا إلى عمر ، لينظر أموره ، ويشاهد عدله ، دخل المـــدينة فسأل عن أهلها ، وقال : اين ملككم ؟ فقالوا قد خرج إلى ظاهر المدينة ، فخرج الرسول فى طلبه فرآه نائماً فوق الرمل وقد وضع درته كالوسادة فلما رآه قال . رجل لا يقر لجميع الملوك قرار من هيبته ، وتكون هذه حاله !! ولكنك ياعمر عدلت فأمنت فنمت .

لقد نهى الاسلام عن تعذيب الناس ، وضرب أبشارهم ، والتمثيل بأحد حتى بالحيوانات ، وذلك حفظا لكرامة بنى الأنسان . ويقول عمر فى ولاته : اللهم إنى لم أبعثهم ليأخذوا أموالهم ولا ليضربوا أبشارهم ،

وجعل الجميع بين يدى القانون سواء ، يتساوون فى حقهم من حمايته لهم ،

دون تميز بينهم ، ولهم الحق كلهم فى حماية واحدة دون أى تميز ينقض مبادئه ، ومن أى تحريض على هذا التميز .

ونهى عن ظلم الناس وتشريدهم واعتقالهم ونفيهم تعسفا وظلما وبهتانا . . وجعل لكل انسان الحق على قدم المساواة التامة فى أن يرفع مظلمته الى الحاكم أو من يعينه لولاية القضاء ، وفى أن تنظر مظلمته بانصاف وبعلانية ، وفى ان يقف خصمه معه امام القضاء حتى ولو كان امير المؤمنين نفسه . وحرض القضاة على ان يقضوا بالحق ، وبما حكم الله ، بطلاقة راى ، ونزاهة غرض . فما اروع الإسلام ومبادئه ! !

وأين هذا من التشريعات الحديثة ، التى تحابى الرؤساء والحكام ، والتى تجعل القاضى خاضعا لسلطان رجال السلطة التنفيذية ، والتى تخضع السلطة التشريعية لهوى رجال السياسة والاحزاب ، والتى تجعل الأمير والوالى فوق القانون ، وتلف نواب الأمة وشيوخها بالحصانة البرلمانية ، وتتستر على الجرائم الكبرى وتحول دون نشرها على الرأى العام

الأسلام ومبادىء الاسلام هى العلاج الأول والأخير أيها الناس لكل مشكلاتنا الآن

من حديث العدالة فى الاسلام

يقول الاعلان العالمى الأخير لحقوق الانسان الذى وضعه أعلام الفكر البشرى فى القرن العشرين ، ما نصه :

« لكل متهم بجرم الحق فى أن تفرض براءته ، حتى يثبت جرمه قانونا فى محكمة علنية تؤمن له فيها جميع الضمانات الضرورية للدفاع عن نفسه » .. وهذا هو

بنص ما أوجبه الاسلام من نحو أربعة عشر قرنا من الزمان: من أن المتهم برىء حتى تثبت إدانته ، ومن عدالة القضاء وحق المتهم فى الدفاع عن نفسه

ويقول عمر بن الخطاب من رسالته إلى أبى موسى الاشعرى حين ولاه قضاء البصرة ، أى من نحو الف وثلاثة مائة وخمسين عاما هجريا تقريبا :

« أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، آس - أى سو - بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لايطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك .. الخ »

ويقول على من عهده إلى الأشتر النخعى والى مصر من قبله : أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فإنك إلا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خاصمه الله أدحض حجته ، وكان لله حربا ، حتى ينزع ويتوب ، وليس شىء أدعى إلى تغيير نعمة الله ، وتعجيل نقمته ، من إقامة على ظلم ... واختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك فى نفسك ، ممن لاتضيق به الامور ، ولا تمحكه الخصوم ، ولا يحصر من الفىء إلى الحق إذا عرفه ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه ... أو قفهم فى الشبهات ، وآخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم ، وأصبرهم على تكشف الأمور ، وأصرمهم عند اتضاح الحكم . ممن لايزدهيه إطراء ، ولا يستميله إغراء . ثم تعاهد قضاءه . وافسح له فى البذل بما يزيل علته ، وتقل معه حاجته إلى الناس ، وأعطه من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيره من خاصتك ، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك ، فانظر فى ذلك نظرا بليغا ، فإن هذا الدين قد كان أسيرا فى أيدى الأشرار يعمل فيه بالهوى ، وتطلب به الدنيا ،

وعن على ابن أبي رافع ، قال : كنت على بيت مال على بن أبي طالب وكاتبه ، فكان في بيت ماله عقد لؤلؤ كان أصابه يوم البصرة ؛ فأرسلت إلى بنت على بن أبي طالب ، فقالت لى : إنه قد بلغنى أن في بيت مال أمير المؤمنين عقد لؤلؤ ، وهو في يدك ، وأنا أحب أن تعيرنيه أتجمل به في يوم الأضحى ، فأرسلت إليها . عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام يابنت أمير المؤمنين ، فقالت نعم : ، عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام ، فدفعته إليها ، وإذا أمير المؤمنين رآه عليها فعرفه ، فقال لها : من أين جاء إليك هذا العقد ؟ فقالت : استعرته من أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين لأتزين به في العيد ثم أرده ، فبعث إلى أمير المؤمنين ، فجئته ، فقال لى : أتخون المسلمين يا ابن أبي رافع . فقلت : معاذ الله أن أخون المسلمين ، فقال : كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذى في بيت مال المسلمين بغير إذنى ورضاهم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين : إنها بنتك ، وسألتنى أعيره لها تتزين به ، فأعرتها إياه عارية مضمونة مردودة على أن ترده سالما إلى موضعه .. فقال : رده من يومك ، واياك أن تعود إلى مثله ، فتنالك عقوبتى . . ثم قال : ويل لابنتى ، لو كانت أخذت العقد على غير عارية مردودة مضمونة لكانت إذن هاشمية ـ قطعت يدها في سرقة .. فبلغت مقالته ابنته ، فقالت له : يا أمير المؤمنين . أنا ابنتك وبضعة منك ، فمن احق بلبسه منى ؟ فقال لها : يابنت ابن أبي طالب . لا تذهبى بنفسك عن الحق ، أكل نساء المهاجرين والأنصار يتزين في مثل هذا العيد بمثل هذ . . . فقبضته منها ، ورددته إلى موضعه ،

وكتب عمر إلى عامله أبي موسى الاشعرى : قد بلغ أمير المؤمنين أنه فشالك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ، ليس للسلمين مثلها ، فإياك

ياعبد الله أن تكون البهيمة التي مرت بواد خصب ، فلم يكن لها همة إلا السمن وإنما حتفها في السمن . واعلم أن للعامل مردا إلى الله ، فاذا زاغ العامل زاغت رعيته ، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته

ويروى أن أبا يوسف حين حضرته الوفاة قال اللهم إنك تعلم أني لم أمل في قضائي إلى أحد الخصمين حتى بالقلب ، إلا في خصومة النصراني مع الرشيد ، ولم أسو بينهما ، وقضيت على الرشيد . . ثم بكى

وهناك مآثر مروية كثيرة لقضاة المسلمين وخلفائهم في تحري العدالة ، وإنصاف المظلوم ، وهي مفاخرة تشهد بعدالة الاسلام ، وعظمة مبادئه ، وسمو أهدافه ، وجلال غاياته

إن العدالة في الاسلام لم تقف عند غاية ، ولم تنته إلى حد ، ولم يستثن من حكامها فرد أو طائفة أو عنصر أو شعب . ولا اعتبار الفتح والغلبة والسيادة

عدالة نحن في حاجة اليها الآن ، لتقضي على الفوضى ؛ وتشيع الأمن والسكينة والهدوء والنظام والرضى ، وتبعث الاطمئنان النفسي في كل إنسان . وما أجل قول الله تعالى « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » ، وقوله « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ، وقوله « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » . . وما أجل قوله تعالى في الحديث القدسي « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا » ، ولما قال أعرابي لرسول الله اعدل ، قال له : ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل ، ولما قال له أعرابي آخر : ومن أحق بالعدل من رسول الله ؟ قال صدقت . ومن أحق بالعدل مني ؟

الحريات العامة للانسان

وأمر كفالة الاسلام للحريات العامة للفرد مشهور مأثور، لا نفيض في الحديث عنه في هذا المقام

لم يضع الاسلام حدودا تفصل بين بنى البشر، أو تحول دون تفاهم أبناء الانسان، فكان الناس يجولون فى بلاد العالم الاسلامى، من كل عنصر وجنس وملة، دون قيد أو حجر أو صعوبة فى الانتقال؛ أحرارا فى تنقلاتهم من مكان إلى مكان

ونهى عن تتبع عورات الانسان، والتجسس عليه، ودخول منزله إلا باذن منه؛ وفرض حرمة المسكن، وحرمة العرض، وحرمة الدم، وحرمة المال، وحرمة الملكية، وحرمة التدخل فى شئونه الخاصة أو شئون أسرته،

وفرض حماية الجار واللائذ والمستعيذ والمضطهد.. ولم يعترف بالعنصرية ولا بالجنسية، بل جعل الناس إخوة فى الانسانية وفى الله وفى الاسلام

وجعل لكل إنسان حق التملك، وحرم أن يحرمه أحد من ملكه تعسفا وظلما

وأوجب حق الفرد فى حرية الفكر، والضمير، وحرية الرأى والتعبير، وحرية الاجتماع، وحرية تكوين الجماعات والنقابات والشركات والهيئات المسالمة.

وجعل له الحق المطلق فى أن يصل بكفايته إلى أعلى المناصب فى الدولة، دون نظر إلى جنسه ولونه

ومنحه كافة الحقوق الاجتماعية والثقافية الاقتصادية التى لا تستغنى عنها كرامته ولا شخصيته فى نموها المطلق

وأطلق حرية الانسان المطلقة فى كل ناحية ، وكل مرفق .

وقرر جميع الحريات العامة له وفرضها ، وألزم الدولة بالدفاع عنها .

وأباح للمسلم أن يتزوج من أهل الكتاب ، وسوغ مؤاكلتهم . وأن أوصى بالرفق فى معاملتهم ومجادلتهم ، كما أخذ العهد على المسلمين أن يدافعوا عمن يدخل فى ذمتهم من غيرهم ، كما يدافعون عن أنفسهم . ونص على أن لهم مالنا وعليهم ما علينا ، ونهى عن كل اكراه فى الدين ؛ وطيب قلوب المؤمنين فى قوله « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ، فعليهم الدعوة الى الخير بالتى هى أحسن ، وليس لهم ولا عليهم أن يستعملوا أى قوة فى الحمل على الاسلام ، فان نوره جدير أن ينفذ الى القلوب والأرواح والنفوس .

ان الاسلام لا يعترف بأى قيد من القيود التى تفرض على الحريات العامة .

وان على الدول الاسلامية المعاصرة أن تعود إلى الاسلام بالغاء النظام الأقطاعى فى بلادها ، فتلغى القيود على الحريات ، وتفرض القانون على الجميع ، وتحد من عبث الكبراء بالقانون وبحق الشعب ، وترفع عن الفلاحين والطبقات الصغيرة عبء الاضطهاد والاستعباد والرق النفسى والاقتصادى .

وبذلك يعود المسلمون سيرتهم الأولى ، فى بناء مجد الاسلام ، ورفاهية المسلمين ، وتجديد عناصر الحضارة ، وهداية الانسانية ، والسير فى موكب الأمم المتمدينة المهذبة العاملة على خدمة العلم والعمران وبنى الانسان

الاسلام وحق الانسان

فى الحياة والحرية والأمن

حق الانسان فى الحياة حق طبيعى ، وهو من أبسط مبادى العدالة .. ولكن بعض الأمم القديمة حرمت من هذا الحق بعض الناس .

كان العرب يئدون بناتهم فى الجاهلية خوف الفقر أو العار ، فنهى الاسلام عن ذلك أشد نهى ، وأوعد عليه أشد وعيد : « ولا تقتلوا أولادكم من املاق نرزقكم وإياهم (١) » ، وقال تعالى: « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ، نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطأ كبيرا (٢) » ، وقال تعالى : « وإذا الموءودة سئلت ، بأى ذنب قتلت (٣) » ، وصور سوء فعلهم ، وشناعة جرمهم فقال : وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ؟ ألا ساء ما يحكمون (٤) » ، وقال : « وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا (٥) ظل وجهه مسودا وهو كظيم (٦) » .. وكرر الله تعالى النهى عن ذلك فقال : « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم ، وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله ، قد ضلوا وما

---

(١) من آية ١٥١ الأنعام .
(٢) آية ٣١ الاسراء .
(٣) ٨و٩ سورة التكوير .
(٤) ٥٨و٥٩ النحل .
(٥) أى بالأنثى .. قال تعالى : وجعلوا لله البنات سبحانه .
(٦) ١٧ الزخرف .

كانوا مهتدين (١) » . وقال : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ، ليردوهم ، وليلبسوا عليهم دينهم (٢) » . . الى غير ذلك من الآيات .

وذكر القرآن الكريم نبأ ابنى آدم الذين قتل أحدهما الآخر ، فطوعت له قتل نفسه أخيه فقتله ، فأصبح من الخاسرين (٣) ، وقال الله تعالى بعد ذلك : « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً (٤) » .

وكان الناس فى العصور القديمة لايبالون بأزهاق الأرواح ، وسفك الدماء ، وكان السادة يحلون لأنفسهم قتل من يشاءون من المحكومين وتسخيرهم فى شتى أعمالهم الخاصة وإذلالهم إذلالا شديداً ، فجاء القرآن ينهى عن القتل وسفك الدماء : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما (٥) » . وقال تعالى « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ (٦) » ، وشرع شريعة القصاص ، « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب لعلكم تتقون (٧) » ، « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين

---

(١) ١٤٠ الأنعام .
(٢) من آية ١٣٧ الأنعام .
(٣) ٣٠ المائدة .
(٤) من آية ٣٢ المائدة .
(٥) ٩٣ النساء .
(٦) من آية ٩٢ النساء .
(٧) ١٧٩ البقرة .

بالعين والسن بالسن والجروح قصاص (٤) ، وقال صلى الله عليه وسلم من خطبة حجة الوداع ، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، .

فهل بعد ذلك دليل على أن الاسلام رعى حق الانسان فى الحياة ؟

. . .

وأما حق الانسان فى الحرية ، فقد كفله الاسلام وأيده ودعا إليه .

رعى الاسلام الحرية السياسية فجعل لكل فرد عاقل رشيد الحق فى أن يشترك فى إدارة شئون الدولة ، حتى قال عمر من خطبة له « إنما أنا متبع ، ولست بمبتدع ، فان استقمت فتابعونى ، وإن زغت فقوموني » . وقال عثمان « إنى أتوب وأنزع ، ولا أعود لشىء عابه المسلمون ، فاذا نزلت من منبرى فليأتنى أشرافكم ، فيرونى رأيهم . فوالله لئن ردنى الحق عبداً لأذلن ذلة العبيد » .

ورعى الاسلام حرية الفكر والرأى . وفى القرآن الكريم نعى شديد على المقلدين والجامدين ودعوة إلى تحرير العقل من شتى القيود .

حتى حرية العقيدة والدين نص عليها القرآن الكريم : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » . . وهذه هى نصوص مما جاء فى عهد الرسول الأعظم للنصارى فى جزيرة العرب « هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله إلى كافة الناس أجمعين ، كتبه لأهل ملة النصارى ، ولمن تنحل دين النصرانية من مشارق الأرض ومغاربها ، قريبها وبعيدها ، فصيحها وعجمها ، معروفها ومجهولها . جعل لهم عهداً إن احتمى راهب أو سائح فى جبل أو واد أو مغارة أو عمران أو سهل أو

---

(٤) من آية ٤٥ المائدة .

ومل أو بيعة ، فأنا أكون من ورائهم ، أذب عنهم من كل غيرة لهم ؛ بنفسى وأعوانى وأهلى وملتى وأتباعى ، لأنهم رعيتى وأهل ذمتى . وأنا أعزل عنهم الأذى فى المؤن التى يحمل أهل العهد من القيام بالخراج ، إلا ما طابت له نفوسهم ، وليس عليهم جبر ولا إكراه على شىء من ذلك . ولا يغير أسقف من اسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته ، ولا حبيس من صومعته ، ولا سائح من سياحته ، ولا يهدم بيت من بيوت كنائسهم وبيعهم ، ولا يدخل شىء من مال كنائسهم فى بناء مساجد المسلمين ، ولا فى بناء منازلهم ، فمن فعل شيئاً من ذلك ، فقد نكث عهد الله وعهد رسوله . ولا يحمل على الرهبان والاساقفة ولا من يتعبد جزية ولا غرامة ، وانا احفظ ذمتهم اينما كانوا من بر او بحـــر ، فى المشرق او فى المغرب والجنوب والشمال ؟ وهم فى ذمتى وميثاقى وامانى من كل مكروه . وكذلك من يتفرد بالعبادة فى الجبال والمواضع المباركة لا يلزمهم مما يزرعونه لا خراج ولا عشر ، ولا يشاطرون لكونه برسم افواههم ؛ ولا يلزمون بخروج فى حرب . . ويحفظونهم تحت جناح الرحمة ، يكف عنهم اذية المكروه ، حيثما كانوا ، وحيثما حلوا . . . وإن صارت النصرانية عند المسلمين ، فعليهم برضاها ، وتمكينها من الصلاة فى بيعها ، ولا يحال بينهم وبين هوى دينها . . . ومن خان عهد الله ، واعتمد بالضد من ذلك ، فقد عصى ميثاقه ورسوله . ويعاونوا على مرمة بيعهم ومواضعهم ولا يلزم احد منهم بنقل سلاح . ولا يخالف هـــذا العهد ابدا إلى حين تقوم الساعة ، وتنقضى الدنيا » . . . وكتب عمر إلى اهل بيت المقدس عقب فتحه له « هذا ما اعطى عمر امير المؤمنين اهل ايلياء من الامان . اعطاهم امانا لانفسهم ، ولكنائسهم ، وصلبانهم . لا يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم بل جعل الاسلام شريعته وشريعة الأنبياء من قبل اخوة « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ،

ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، وذكر ان النصارى اكثر اهل الاديان قربا ومودة للمسلمين ، لتجدن اشد الناس عــداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ، ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ،

ورعى الاسلام الحرية الشخصية ، ونهى عن الاعتداء عليها ، بل اوجب على الحاكم الرفق بالمسلمين ، وفى ذلك يقول الرسول الاكرم ، اللهم من ولى من امر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليــه ، ومن ولى من امر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق عليه ، .

واما حق الانسان فى الامن : فهو اشد التزاما فى الاســلام فقد حارب الاسلام الاعتداء على امــوال الناس واعراضهم ودمائهم واوجب القصاص والحدود وألزم المؤمن بأن يعامل اخاه برفق وفرض عليه ان يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، يقول الرسول الاعظم لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وجعل الحاكم مسئولا عن الأمن والنظام . ، الامام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع فى اهل بيته وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عن رعيتها والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، ونهى الاسلام عن استهزاء المرء بأخيه والتنابز بالالقاب واخذ الناس بالشبهات وعن الغيبة والنميمة والخوض فى اعراض المحصنين والمحصنات وقال رسول الله : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وحرم على الحاكم اكل مال رعيته والتطاول عليهم كما حرم اكل مال الناس بالباطل واوجب حق الفقير والصغير والمرأة والرقيق مما يوفر على الناس الامن واوجب الحدود لمن تعدى حدود الله كل ذلك لحفظ الامن ورعاية حق الفرد فى ان يعيش آمنا مطمئنا فى الحياة .

شريعة الحرب وحق الإنسان فى الحياة

بين الاسلام والشرائع الحديثة

حق الانسان فى الحياة ثابت لا ريب فيه فى الحرب والسلام على السواء

ولكن أوربا وشرائعها الحاضرة تتنكر لهذا الحق البدهى ولا تعترف به ابان الحروب

وعبر الحرب العالمية الأولى والثانية لا تزال شاهدة بجرائم اوربا وشعوبها المتحضرة وما ارتكبته فى حق المدنيين المسالمين من فظائع تقشعر من هولها الأبدان

المدن تدمر بالقنابل ، والأرواح تزهق بلا حساب فى البر والبحر والجو . والأطفال والنساء والكهول يقتلون بلا ذنب جنوه ، والحقول الخضراء تحترق ، والقنابل تقذف على المعابد ، الى ما سوى ذلك من الجرائم الإنسانية التى يعجز العقل عن تصور مدى فظاعتها

فأين هذا من الاسلام وشريعته الكريمة التى فرضت على المسلمين احترام حقوق الانسان حتى فى الحروب ، وأوصت بالمدنيين المسالمين خيرا ، ونهت عن الاعتداء والسفك والنهب والحرق والتمثيل والتدمير والتخريب

يقول الله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين » . فانظر كيف نهى القرآن الكريم عن الاعتداء وحرم وحذر منه ، لأن الاعتداء ليس سبيل الاسلام ، إنما سبيله الحق والرحمة والإنسانية والعدالة .

وانظر الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم لقواد جيوشه فى غزوة مؤتة ووصيته لهم بترك كل ما ينافى مبادىء الإسلام والإنسانية فى الحرب ، قال :

« أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا . اغزوا باسم الله فى سبيل الله من كفر بالله لاتغدروا ولا تغلوا ولاتقتلوا وليدا و لا امرأة ولا كبيرا فانيا ولا منعزلا بصومعته ولا تحرقوا نخلا ولاتقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء » . .

فستجد شريعة السلام والوئام والعدالة حتى فى معاملة الخصوم والأعداء .

واقرأ كلمة أبى بكر ووصيته إلى أمراء جيشه التى يتجلى فيها روح الإسلام ومبادىء الرسول العظيم وحق الإنسانية على المتحاربين بوضوح لالبس فيه . قال أبو بكر الصديق خليفة رسول الله :

« لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تغدروا ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولاتقطعوا شجرة مثمرة ، ولاتذبحوا شاه ولابقرة ولا بعيرا إلا لمأكله . وسوف تمرون باقوام قدفرغوا انفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له »

فاى روح إنسانى أعظم من ذلك الروح ، وأية مبادىء أجل من تلك المبادىء . وأية شريعة تحمل هذا السمو وذلك النبل وتلك العدالة ؟

إن هو إلا الاسلام الذى رعى حق الانسان فى الحياة وفى الحرب كما رعاه فى السلام . وأكدشريعة الانسانية ورحم الاخوة البشرية على الناس كافة فى كل وقت ومكان

وما أجل مايقول الله تعالى فى كتابه الحكم الكريم : « لاينها كم اللهعن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » . فهـذه الآية الكريمة كما توجب حق أهل الأديان الأخرى

المسالمين الذين يعيشون فى كنف المسلمين من الرعاية والبر والعـــدل . كذلك توجب حق المدنيين المسالمين الذين لم يحملوا السلاح ، ولم يحاربوا هدى الله ، فأولئك لهم الأمن والبر والرعاية ومن حقهم أن ينعمـــو بالعدل الذى أمر به الله

الاسلام والرق

كان الرق ذائعا قبل الرسالة المحمدية فى كل مكان وكانت أسبابه متعـــددة كثيرة ، فهناك أسرى الحـــرب الأرقاء والأرقاء بالسبى والخطف واللصوصية والارقاء بسبب اجرامهم والرق بسبب الدين والرقيق بالوراثة . وكان يجوز للانسان أن يبيع نفسه وأولاده على أنهم أرقاء ، وكان بعض الاغنياء يعـــدون الفلاحين فى مزارعهم رقيقا مملوكا لهم ، وبعض المجتمعات تعد المرأة فى منزلة العبد المملوك

وقد ظهر الاسترقاق منذ العصور القديمة وألفه بكثرة المصريون القدامى والبابليون والبراهمة والفرس واليونان والرومان . وأقره أفلاطون وأرسطو الذى ذهب الى ان ارواحهم كأرواح الحيوانات غير مخلدة

واعتبرته الديانة المسيحية شرعيا . واستمر المسيحيون على تلك الشريعة. وكان الاوربيون يسترقون سكان امريكا بعد كشفها ويعاملونهم اسوأ المعاملة

اما الاســـلام فقد حرم شتى انواع الرق عـــدا الرق بسبب الاسر فى حرب اســـلامية عامة بين المسلمين والمشركين وما عـــدا الرق بسبب الوراثة والتناســـل

ومع ذلك فقد قيد الاسلام بعد ذلك كله نظام الرق بقيود شديدة نجمـــل

المملوكة بسبب الوراثة يولد ابنها من سيدها حرا اذا ألحقه السيد بنسبه وتنال هى حريتها بعد وفاة السيد ؛ وجعل الرق فى الحرب قاصرا على الحرب فى سبيل الدين التى تحدث بين المسلمين والمشركين او المسلمين واهل الكتاب الذين يريدون ان يطفئوا نور الله ، وهى الحرب التى تكون للدفاع عن الدين من اعتداء معتد اثيم او مكيدة دولة كافرة او للحنث بالعهود والالتزامات والتى ينص القرآن الكريم على مشروعيتها بقوله « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » وبقوله تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » ، « وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون » . . وجعل للامام الحاكم الحق فى ان يمن على الاسرى وفى قبول الفداء .

ثم فتح الاسلام الابواب للحرية والعتق وحث على تحرير الارقاء بكل طريق وسبيل . . وجعله مغنيا من كثير من الاخطاء وفرض على الدولة ان تقوم بتحرير الارقاء من اموال الزكاة . . وحث السادة على تحرير عبيدهم اذا كاتبوهم على مال معلوم

فالاسلام اذن ضيق حدود الرق الى أبعد حد ، وفتح أبواب العتق الى أوسع مدى ، وحث السادة على عتق عبيدهم تقربا لله أو نظير مال يكاتبونهم عليه أو تكفيرا عن بعض السيئات ، وجعل الدولة قوامة على تحرير الرقاب بسهم مما يجبى من أموال الزكاة .

فأى شىء يعمله الاسلام أكثر من ذلك ، أيحرم الرق جملة ؟ كلا فان من يصد الناس عن عقيدتك ودينك ، ويؤلب عليك القوى ، ويحاربك بالسلاح جزاؤه أن تضمه اليك ، لتحول بينه وبين الشر ، ولتؤدبه وترعاه وتوجهه إلى الهدى

ومع ذلك فقد أوجب الاسلام على المسلمين حسن معاملة الرقيق وتأديبه وتربيته وتهذيبه وجعله عضوا صالحا فى الحياة ، وأن لا يكلف السيد عبده بما لا يستطيع ، وأن يعطيه مما يأكل ، ويلبسه مما يلبس ، وأن يحفظ كرامته . . . قال رسول الله : لا يقل أحدكم : عبدى ، أمتى ، وليقل : فتاى وفتاتى وغلامى » . وقال : من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار

وقد صعد كثير من العبيد فى الاسلام إلى منزلة لا يبلغها أحد ، فوصلوا إلى قيادة الجيوش ، وسياسة الدولة ، وتبوؤ أمور الملك والولاية . بل إن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، كان إذا سار هو وعبده ، تعاقبا على ركوب الناقة » وعندما ذهب عمر إلى بيت المقدس ليبرم الصلح مع أهلها ، ركب عمر مرة » وركب عبده مرة ، أثناء الطريق ، حتى لقد بلغ عمر المدينة وغلامه على الدابة وعمر الخليفة يسعى بين يديه

ويقول رسول الله : « اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم » ، « اتقوا الله فى الضعيفين المملوك والمرأة » ، « من كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس » ، « من كانت له جارية فعلمها وأحسن اليها وتزوجها كان له أجران فى الحياة الدنيا والآخرى : أجر بالنكاح والتعليم ، وأجر بالعتق

وعن أبى مسعود قال : بينما أنا أضرب غلاما لى إذ سمعت صوتا من خلفى « اعلم يا أبا مسعود - مرتين - فالتفت ، فاذا رسول الله ، فألقيت السوط من يدى فقال : « والله لله أقدر عليك منك على هذا »

إن الاسلام قضى على الرق قضاء إلى حد بعيد ، فما ظنكم بأمم الغرب اليوم التى تعامل بعض الطبقات معاملة أدنى من معاملة العبيد . فأمريكا موقفها من الزنوج الحمر معروف وعداؤها لهم بسبب اللون مشهور حتى لتحرم عليهم الوظائف العامة والتعليم ، وتنزلهم إلى درك الحيوانات .. وأسرى الحرب العالمية

الثانية لا يزالون يهيمون على وجوههم فى سهول سيبريا وسواها من شتى بلاد الاتحاد السوفيتى عمالا أرقاء للدولة . . بل وفى الهند طبقات المنبوذين الذين لا يعاملون معاملة الرقيق فى الاسلام

فأين هذا من عدل الاسلام وسماحته ، ودعوته للاخاء الحق ، والمساواة الصحيحة ، والحرية الكاملة

بل إن الغرب قد حرم رق فرد ، وأباح استعباد أمة ، وأطلق حرية إنسان وقتل حريات كثير من الشعوب ، وحرم نهب مال مواطن وأباح لنفسه أن ينهب ثروات المستعمرات الواسعة . وقضى على أسواق الرقيق فى إفريقيا ، ولكنه حجر على رجال الفكر والعلم والاختراع من شباب الألمان الذين أسرهم فى الحرب العالمية الثانية وجندهم مأسورين مساقين لخدمة المرافق العامة فى روسيا وانجلترا وأمريكا وفرنسا ، بل ألقى عليهم أشد التبعات والأهوال والأعمال خلال الحرب وبعدها ؟

والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم
فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا ، وآتوهم من مال
الله الذى آتاكم

- ٣٣ سورة النور -

إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين
عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب

- ٦٠ سورة التوبة -

والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون
لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، ذلكم
توعظون به ، والله بما تعملون خبير

- ٣ سورة المجادلة -

(٣)

الاسلام ونظم الحكم

محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم

— ٢٩ سورة الفتح —

لقد جاءكم رسول من أنفسكم، عزيز عليه ماعنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم

— ١٢٨ التوبة —

فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين

— ١٥٩ آل عمران —

الاسلام والديمقراطية

رسفت الإنسانية فى أغلال ظالمة من الاستعباد خلال الحضارات القديمة التى غمرت موجتها العاتية الحياة البشرية ، قبـــل أن تسطع شمس الاسلام المشرقة ، وينبثق نوره ، وتشابهت جميع الحضارات التى استظلت بها الانسانية فى ذلك العهد السحيق ، فى أفكارها ومبادئها وغاياتها . فقامت جميعا على أسس الطغيان والديكتاتورية والروح المادى البعيد عن السمو الانسانى المنشود ، وكانت غايتها المشتركة مجد الأشخاص لا مجد الشعوب ، ورفاهية فرد وإن شقيت به أمة ، وكان كل ما تطمح إليه ، وتفكر فيه استعباد الناس وتسخيرهم فى سبيل تحقيق ما يصبو إليه الحاكمون من عظمة وكبرياء ، ومايتشدونه من روعة المجد ومظاهر السلطان وجحدت جميع هذه الحضارات حقوق الأفــراد وحرياتهم ، وناوأت حياة الديمقراطية وحريات الشعوب ، وتنكرت لكل ماتقدسه الانسانية المهذبة من من عدالة وإخاء ومساواة ، ثم خلعت على هذا الاستبداد الجائر صورا مزيفة من القداسة والحق الالهى المزعوم وأن الحاكم يتلقى الحكم هبة من السماء ونفحة من العناية الالهية ، وليس للشعوب حق لديه ، ولا شخصية فى رأيه ، رماهم إلا عبيد مسخرون ، فسكن لهذا الطغيان الثائرون ، وآمن به الحائرون ، وصار عقيدة مع العقيدة وسورة من كتاب البشرية المضللة اليائسة .

وبزغ النور الالهى فى أفق الحياة البشرية بين هـــذه الظلمات القاتمة فترات قصيرة ، ليبدد ظلام الاستعباد السياسى والرق الفكرى والطغيان الاجتماعى بيد أنه لم ينفذ إلى أعماقها ؛ ولم يتغلغل فى طواياها ، واجتمعت شياطين الضلالة وأعداء الانسانية على أن يحولوا بينه وبين قلوب الناس وعقولهم ، فلم يرن إليه بصر ، ولم يخفق به فؤاد ، ولم ترفع له الشعوب رأسا

وعلى حين غفلة نزل الوحى إلى الأرض من جديد ، يبلغ الرسالة ، وينفث فى روع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحاب روح القوة والبطولة ، ويدعوهم إلى التضحية والجهاد ، لتحرير الانسانية من أغلالها ، والسمو بها إلى حياة الحرية والديمقراطية والسلام ، فأخذ محمد وأصحابه يدعون للدين الجديد ، ويبشرون الناس بحياة بشرية أخرى ، ويضعون أساس الحياة الانسانية الجديدة .

دعا محمد صلوات الله عليه إلى وحدة الانسانية ؛ أمها وجماعاتها، وإلى محو جميع الفروق الطائفية والعنصرية الظالمة التى فرقت بين الانسان والانسان وبين الجماعة والجماعـــة وبين الأمة والأمة ، وإلى المساواة التامة بين الأفراد والجماعات وأهدر جميع الموازين التى ألف الناس تقدير قيم الأشخاص على أساسها من الحسب والجاه والمال إلا ميزانا واحدا هو ميزان الكفاءة الشخصية والعمل الصالح والخلق الكريم « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى. وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » ، ويقول الرسول الكريم « أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم من تراب ، ولا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، وإن أكرمكم عند الله اتقاكم » وانكر عليه زعماء قريش هذا المبدأ الكريم ، قالوا كيف نجلس إليك يا محمد وانت تجلس إلى مثل بلال الحبشى وسلمان الفارسى وصهيب الرومى وعمار وسواهم من العبيد وعامة الناس ؟ اطردهم عنك ونحن نحضر مجلسك ونسمع دعوتك . فأبى رسول الله صلوات الله عليه . فقالوا : فاجعل لنا يوما ولهم يوما ، فكاد أن يجيب رغبتهم فنزل عليه الوحى من السماء يرتل فى اذنه الكريمة هذه الآيات الكريمة « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ، يريدون وجهه ماعليك من حسابهم من شىء ، وما من حسابك عليهم من شىء ، فتطردهم فتكون من الظالمين ، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟ أليس

الله بأعلم بالشاكرين ، وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة » .

كفل الاسلام حريات الأفراد والجماعات ، وناوأ الاستعباد البشرى فى جميع صوره وشتى مظاهره ، حتى قال عمر فيما بعد لأحد ولاته وقد اعتدى على رجل من الرعية : « كيف تستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » ، فحرر الاسلام العبيد المسترقين إلا من كان مأسورا فى حرب شنها أعداء الاسلام ليطفئوا بها نور الله ، ووضع الحدود لمعاملة هؤلاء الأرقاء ودعا إلى تحريرهم من رق العبودية ؛ كما حرر المرأة من عبودية الرجل ، وحرر المجتمع من ديكتاتورية الزعماء والطغاة ، وحرر الشعب من جور الرأسماليين المستبدين ، فأحل البيع وحرم الربا ، ودعا إلى أسمى المعاملات وأنبلها .

وكانت أول كلمة فى دين الاسلام هى الدعوة الى وحدة العقيدة وألا يشرك الناس بالله شيئاً ، وبذلك رفع كرامة الانسانية من ان تمتهن بالسجود لغير الخالق العظيم ، ورفع كرامة الناس من أن يذلوا للطغيان السياسى الذى يسبغ عليه أصحابه لونا زاهيا من القداسة وتأييد العناية الالهية ، « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ، قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شىء ؟ » .

ودعا إلى السلام المشترك ، فقال : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » .

ووضع أساس الديمقراطية السامية ، ومبدأ الشورى الكريم ، « لقد جاءكم رسول من انفسكم ، عزيز عليه ماعنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم » « إن الله يرضى لكم ثلاثا : ان تعبدوه ولاتشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا ، وان تناصحوا من ولاه الله أمركم » . وقرر مبدأ النصيحة

لأولى الأمر: « الدين النصيحة . لله ولرسوله ولأولى الأمر » ، « ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ، « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

وأخذ رسول الله صلوات الله عليه ينظم في تؤدة وتدرج حياة الفرد والأسرة ، وشئون المجتمع والأمة ، على أسمى وجه تنشده الإنسانية ، ويصبو اليه المصلحون ، ودعا الناس إلى غاية مشتركة هي العمل على سعادة الانسانية ورفاهيتها وتقدمها . والتمكين لحياة التعاون والديمقراطيــة بين الناس والجماعات والأمم ، وسار على نهجه الكريم خلفاؤه الراشدون ؛ فكانوا المثل الأعلى للملوك الديمقراطيين والحكام العادلين .

وبذلك استعاد الفرد كرامته ، والمجتمع سعادته ، والشعب حريته ، والانسانية طمأنينتها ، وعاش الجميع بنعمة الله إخوانا .

أليست الديمقراطية هي المساواة التامة بين الناس وتهيئة الفرص للرقى أمام كل فرد ، ونشر العدالة الاجتماعية بين الأفراد والطبقات ، وكفالة حريات الناس جميعا واشتراك الفرد في شئون المجتمع والأمة يديرها ويسوسها ويسير بها لمصلحة الجميع حتى يتعاون الحاكمون والمحكومون جميعا في سبيل الخير العام والمصلحة المشتركة ؟

ثم أولم يقرر الاسلام هذه المبادىء جميعا قبل أن تقررها الحضـارات الاوربية الحديثة بأربعة عشر قرنا من الزمان ؟

إنها لعقيدة جديدة ، وثورة إنسانية عامة ، ودعوة لتمكين الديمقراطية في الارض بين الناس ؛ وما أروعها من عقيدة ، وما أعظمها من ثورة على الطغيان والاستعباد ؛ وما أجلها من دعوة رفعت رأس البشرية إلى السماء .

وبعد جهـاد رائع حافل بآيات البطولة والتضحية كتب الظفر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، فألقى حماة الوثنية والطغيان في جزيرة العرب سلاحهم

بين يدى محمد صلوات الله عليه . كما التى حماتها فى فارس والشام ومصر السلاح فى عهد أبى بكر والفاروق عمر بن الخطاب ؛ وذهبت العقيدة الاسلامية ، وحياة الديمقراطية البشرية الجديدة ، فى ارجاء المشرق والمغرب ، يشيرا بخير العالم وسعادة الشعوب ؛ ورفاهية الناس والجماعات .

لقد أدى الشرق رسالته ، ثم استعاد التاريخ دورته ، فاذا الجهاد هو الجهاد والكفاح هو الكفاح . ولكن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، والمجد والسلام والرفاهية للبشرية أولا وأخيرا .. وما أصدق ما يقول شاعرنا المعاصر

من هؤلاء الصامتون ؟ تكلموا   من هؤلاء المحجمون ؟ تقدموا

الحكم فى الاسلام

أســاسه مشيئة الشعوب

الحكم فى الاسلام دستورى ، لأن الحكومة فيه مقيدة بكتاب إلهى ، ودستور خالد ، منزل من السماء ، هو القرآن الكريم ، الذى نزل هدى ونورا ، والذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

يقول دافيد بورت : «القرآن دستور اجتماعى تجارى مدنى حربى قضائى وهو فوق ذلك كله قانون سماوى عظيم » . والقرآن الكريم يحقق كل أغراض الحكومة الدستورية الصالحة ، فقد فرض على الحاكم أن يستشير المسلمين ، ويرجع إلى رأيهم ، « وشاورهم فى الأمر » ، « وأمرهم شورى بينهم » ، وألزم الحاكم بالعدل فى رعيته ، فالامام راع ومسئول عن رعيته ، ولم يجعل أى امتياز لطبقة الحاكمين على طبقة المحكومين ، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى مرض موته «أيها الناس . من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى ، فليستقد منه ، ومن

شتمت له عرضا فهذا عرضى ، فليستقد منه ؛ ومن أخذت له مالا فهذا مالى ، فليأخذ منه . ولا يخشى الشحناء ، فهى ليست من شأنى » . وكان عمر يسلك سبيل الرسول وصاحبه أبى بكر ، فيطلق لولاته الحرية فى الشئون الموضعية ، ويقيدهم فى المسائل العامة ، ويراقبهم ، ويقول لهم . إنى لم أستعملكم على أمة محمد على أشعارهم ولا على أبشارهم ، وإنما استعملتكم عليهم لتقضوا بينهم بالحق ، وتقسموا بينهم بالعدل . وقال عمر : من ظلمه عامله بمظلمة ، فلا إذن له على ، إلا أن يرفعها إلى ، حتى أقصه منه ، فقيل له : أرأيت إن أدب امير رجلا من رعيته أتقصه منه ، فقال . وما لى لا أقصه منه ، وقد رأيت رسول الله يقص من نفسه ؟ وبلغ عمر أن أبا عبيدة ، واليه على الشام ، يسبغ على عياله ، وقد ظهرت النعمة عليه ؛ فنقص من عطائه الذى كان يجرى عليه ، ثم سأل عنه ، فقيل له : قد شحب لونه ، وتغيرت ثيابه ؛ وساءت حاله ؛ فقال يرحم الله أبا عبيدة ، ما أعف وأصبر !! ورد عليه ما كان نقص منه ؛ وأجراه عليه . وكان عمر الخليفة لا يميز نفسه عن جمهور المسلمين بشىء فى لباسه ومركبه وحركته . وقد صادر أموال عمرو بن العاص واليه على مصر لأنه ظهرت عليه النعمة والترف وصادر أبا هريرة واليه على البحرين لأنه ادخر له عشرة آلاف درهم ؛ وكان يأخذ عطاءه من بيت المال مثل أى فرد من المسلمين

ان الاسلام يحذف الامتيازات الفردية والطائفية ، ويمحو ما بين الطبقات من الفروق فى الحقوق والواجبات ، لا فرق بين حاكم ومحكوم ، ولا يعترف بالنبلاء والسادة والأمراء ، إنما هم مثل غيرهم من باقى طبقات الشعب وفلاحيه وجمهوره ، نظام الحكم مقرون بالحرية والمساواة والعدل واحترام كرامة الفرد .

الخليفة ينتخب من قبل عظماء الأمة ، ولا يصدر فى خلافته أمرا خطيرا إلا برأى أكابر الأمة وشوراهم ، جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبى بكر

فقالا : يا خليفة رسول الله ؛ إن عندنا أرضا سبخة . ليس فيها كلأ ولا منفعة فان رأيت أن تعطيناها لعلنا نحرثها أو نزرعها ، ولعل الله أن ينفع بها بعد اليوم؟ فقال ابو بكر لمن حوله : ما ترون فيما قالا ؟ قالوا : إن كانت أرضا سبخة لا ينتفع بها فنرى أن تقطعها ، لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم . فأقطعهما إياها وكتب لهما بذلك كتابا . وأشهد عمر وليس في القوم . فانطلقا إلى عمر يشهدانه فوجداه قائما يداوي بعيراله . فقالا : إن أبا بكر يشهدك على مافي هذا الكتاب وقرآه له . فلما سمع ما في الكتاب تناوله منهما فتفل عليه فمحاه . وقال إن رسول الله كان يتألفكما والاسلام يومئذ ذليل وإن الله عز وجل قد أعز الاسلام اذهبا فاجهدا جهدكما فذهبا إلى أبي بكر وقالا والله ما ندري من الخليفة أنت أم عمر ؟ قال بل هو لو كان شاء . فجاء عمر وهو مغضب فقال لأبي بكر : أخبرني عن هذه الأرض التي أقطعتها هذين ، أرض هي لك خاصة أم بين المسلمين عامة ؟ قال بل هي للمسلمين عامة ، قال فما حملك أن تخص بها هذين دون جماعة المسلمين ؟ قال ، استشرت هؤلاء الذين حولي فأشاروا على بذلك ، قال فاذا استشرت هؤلاء الذين حولك أفكل المسلمين أو سعتهم مشورة ورضى ؟ قال أبو بكر قد كنت قلت لك إنك أقوى على هذا مني لكنك غلبتني

ومع ذلك فالشريعة الاسلامية تحث على وضع القوانين والنظم الملائمة لحاجات الأمة ومطالب الحياة وضرورات البيئة ؛ وتفرض على المشرعين والمجتهدين أن ينظروا على ضوء الاسلام وتشريعه إلى كل مايجد في الحياة لوضع أحكامها .

وأما أن نحمل الشريعة مسئولية المظالم والاضطرابات التي أحدثها الملوك من ذوي السياسة والاطماع القصيرة بعد عصر الخلفاء الراشدين ، فأمر لا يتفق والحق والانصاف . إن الحكومة أساس تكوينها في الاسلام شورى ، ومشيئة الشعب

هى التى توجهها وتسير بها إلى جادة الحق والخير العام والاصلاح . ومهمتها هى خدمة الشعب والثقافى فى حفظ الأمن والنظام ؛ وضمان العدالة والحق والمساواة للجميع ... جاء فى وثيقة الاستقلال التى أعلنها نواب الولايات المتحدة عام ١٧٧٦ .
إننا نعتقد هذه الحقائق بديهية ، أن الافراد أجمعهم خلقوا متساوين ، وقد منحهم الخالق حقوقا معينة غير قابلة الانتزاع . ومن هذه الحقوق : الحياة ، والحرية ، والسعى نحو السعادة . ولصيانة هذه الحقوق تنشأ الحكومات بين الناس ، فتستمد هذه الحكومات سلطانها العادلة من رضا المحكومين . وإن أية حكومة ـ مهما كان شكلها — إذا أصبحت هدامة لهذه الغايات ، فمن حق الشعب أن يغيرها أو يلغيها وينشئ مكانها حكومة جديدة ، يضع أساسها ، على ما يبدو له من مبادئ ، وينظم سلطتها على ما يتراءى له من أشكال تضمن له السعادة والسلامة » .

لقد عنى ملوك المسلمين بنشر العلم والثقافة والحضارة فى كل مكان ، فى بغداد وقرطبة ومصر ودمشق وحلب وتونس ، وسواها من عواصم البلاد الاسلامية ، وهذه العواصم هى المنابع التى استمد منها الغرب الثقافة والعلم والحضارة فى القرون الوسطى . يقول الاستاذ بريفولت الانجليزى فى كتابه « تكوين الانسانية » : تعلم كثير من المسيحيين عند علماء الاسلام . ويقول : إن رئيس دير كلوق تأسف على أن رأى أثناء إقامته بالاندلس الطلبة من فرنسا وألمانيا وانجلترا يردون أفواجا أفواجا إلى المراكز العلمية العربية وقال : العلم هبة عظيمة الشأن جادت بها الحضارة العربية على العالم الحاضر ، فلم تكن إيطاليا مهد الحياة أوربا الجديدة بل الأندلس ، لأن أوربا كانت بلغت أشد أعماق الجهل والفساد ظالة بينما العالم العربى : بغداد والقاهرة وقرطبة وطليطلة ، كانت مراكز الحضارة والنشاط العقلى ، ومن ثم ظهرت الحياة الجديدة التى نمت فى شكل ارتقاء إنسانى جديد .

ويلخص شوق النظام الحكومى فى الاسلام فيقول :

فرسمت بعدك للعباد حكومة | لا سوقة فيهــا ولا أمراء
الله فوق الخلق فيها وحده | والناس تحت لوائها أكفاء
والدين يسر والخلافة بيعة | والأمر شورى والحقوق قضاء
الاشتراكيون أنت إمامهم | لولا دعاوى القوم والغلواء

والذين استجابوا لربهم ، وأقاموا الصلاة ،
وأمرهم شورى بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون .
- ٣٨ سورة الشورى -

(٤)

الاسلام والمجتمع

وتعاونوا على البر والتقوى ، ولاتعاونوا على الأثم والعدوان
واتقوا الله إن الله شديد العقاب

- ٢ سورة المائدة -

اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم
الاسلام دينا

- ٣ سوره المائدة -

لن تؤمنوا حتى ترحموا ، قالوا يارسول الله : كلنا رحيم ، قال -
إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة عامة الناس

حديث نبوى شريف

آثار خالدة

لايمكن أن يحيط انسان بمدى آثار الاسلام فى المجتمع الاسلامى منذ أربعة عشر قرنا من الزمان حتى الآن

أليس هو الذى رفع كرامة الانسان فى المجتمع، وأنقذه من الفقر والظلم والاضطهاد والاستعباد، ووجهه وجهة كريمة رفيعة فى الحياة ؟

أليس هو العامل الأول فى تهذيب الأخلاق : وايقاظ الضمائر ؛ والداعى الى المحبة والتعاون، والذى يحفز الانسان الى خدمة نفسه وأسرته وامته بالطرق الشريفة وبالوسائل الكريمة فى الحياة ؟

نعم، فالاسلام هو الذى يحيى الفضائل الكريمة فى المجتمع ويحارب الرذائل والشرور الاجتماعية، ويخلق مجتمعا قويا متحدا يسوده النظام والعدالة والحق والخير . وهو الذى وضع أسس النهضة الفكرية والعلمية ودعامة الحضارة والمدنية فى المجتمعات الاسلامية وفى العالم كافة، مما لا يمكن تقدير مداه والاحاطة بجوانبه

العمال وأصحاب المال

حقوقهم وواجباتهم فى الإسلام

للعامل مكانة كبيرة فى الأمة، فهو دعامة الانتاج ؛ وعنصر من عناصر النشاط الاقتصادي، واليد المحركة لمرافق الدولة

وقديما نشأ كثير من الأنبياء فى بيئة الأعمال، وتدرج الله بهم من حياة العمالة الى حياة النبوة والرسالة، فموسى صلوات الله عليه قضى ثمانى حجج او عشرا عاملا فى مال شعيب، وداود كان يعمل ويأكل من عمل يده، فكان يقول

(١) نشر هذا البحث بمجلة الأزهر بعدد ذى الحجة ١٣٦٦ هـ

بصناعة الدروع ويعيش على ما يكسبه من هذه الصناعة ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى صدر شبابه وطرفا من ايام رجولته عاملا فى مال خديجة سيدة قريش ثروة وجاها . وقد عنيت الاديان القديمة والقوانين الحديثة بتشريعات العمل وقوانين العمال .

وفى الشريعة الاسلامية عناية بالعامل وحقوقه ، وتتجلى هذه العناية بوضوح فى كثير من مسائل التشريع الاسلامى ، والأصول العامة التى تهدف اليها الشريعة الاسلامية فى هذا الباب يمكننا أن نلخصها فيما يلى :

اولا : حفظ كرامة العامل وانسانيته وشخصيته فى الحياة . فالعمل ليس ذلا وهوانا ، بل هو وسيلة الحياة الشريفة لكثير من افراد الأمة . وهو ركن الحياة الاقتصادية ، لذلك كان من الحتم ان يقدر اصحاب الأموال شخصية العامل وكرامته وارادته ويحافظوا عليها ، لا ان يضعوه موضع الذليل المسخر او العبد المهان ، وفى مبادىء الاسلام نصوص كثيرة تؤيد هذا ، وكان كثير من العمال يشترطون على صاحب العمل ذلك ، كما يروى ان قوما ضلوا الطريق فاستأجروا اعرابيا ليدلهم عليه ، فقال انى والله لا اخرج معكم حتى اشترط لنفسى ! قالوا فماذا تشترط لنفسك ! قال ، يدى مع ايديكم فى كل ما تتناولون وتعملون، وذكرى والدى عليكم محرم ،

ثانيا : تقدير مجهود العامل تقديرا قائما على الانصاف وعلى الحدب عليه ، فلا يجوز فى نظر الشريعة الاسلامية التى توجب معونة العامل ان ينتهز اصحاب الاعمال فرصة حاجته الشديدة الى العمل فيبخسوه حقه ويغبنوه فى تقدير اجره الذى يستحقه نظير عمله ، ولابد ان يكون ضامنا لنتيجة مجهوده وكده ، ولذلك منعت كثيرا من المعاملات التى لا يتحقق فيها ضمان العامل لأجره عند عقد العمل ، وهذا هو علة منع جواز اعطاء الأرض للعامل يزرعها على ان

يكون أجره مما يخرج منها ، لجواز أن لا تخرج الأرض محصولا ، وإن كان كثير من الشرعين الاسلاميين أجازوه لما فيه من تبادل المنفعة بين الناس ، والثقة الغالبة باعطاء الأرض ثمراتها . كما لا يجوز أن تكون أجرة العامل فى عقد العمل مجهولة القدر ، بل لا بد أن تكون معلومة معينة ليعمل العامل على أساس واضح ؛ وليدفع عنه الحيف ؛ وفى الحديث : « من استأجر أجيرا فليعلمه أجره » .

وتحث الشريعة الاسلامية دائما أصحاب الأموال على ترك الطمع فى أجرة العمال ، وعلى أدائها لهم كاملة ، وتعدهم بذلك خير الدنيا والآخرة . وفى الحديث عن رسول الله صلوات الله عليه « ان ثلاثة أووا إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليه الغار ، فدعوا الله بصالح اعمالهم فانفرجت الصخرة . فكان مما دعا به احدهم ان قال : اللهم إنى استأجرت عمالا فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب ، فثمرت اجره حتى كثرت منه الأموال ، فجاء بعد حين فقال : ياعبد الله اد إلى اجرى ، فقلت له : كل ماترى من اجرك من الابل والبقر والغنم ؛ فقال : ياعبد الله لا تستهزىء بى ، فقلت ؛ إنى لا استهزىء بك ؛ فأخذه كله فلم يترك منه شيئا » .

وتلزم الاجرة بتمام العمل (او بشرط العامل دفعها قبل العمل بشرط التمكن من الحصول على المنفعة ، اى العمل المقصود) .

ثالثا : عدم إرهاق العامل وإعناته فى العمل . وفى الحديث الشريف : « ولا تكلفوهم مالا يطيقون ، فإن كلفتموهم فأعينوهم » وقال شعيب لموسى عليهما السلام حين اتفقا على ان يعمل له موسى فى ماله : « وما اريد أن أشق عليك » .

فاذا أدى تصرف أصحاب الأموال إلى إرهاق العامل إرهاقا يضر بصحته فللعامل حق فسخ العقد ، وله أن يرفع الأمر الى المسئولين لدفع هذا العنت ؛

...ورفع الأمر الى أولى الأمر للتحكيم حين الخلاف . وإنصاف من هو بحاجة ماسة إلى الانصاف ، قاعدة مقررة في شريعة الاسلام .

رابعا : حرية العامل فى الأعمال المالية أحيانا ، فلا يجوز أن يحجر رب المال فى حرية العمل على من وكل إليه استثمار ماله ، فلا يصح أن يشترط عليه أن لا يتعامل إلا مع أناس معينين أو فى مكان خاص ؛ وذلك لأن المستثمر مادام مأنوسا فيه الكفاية والمقدرة على الاستثمار فلا يصح أن تقيد مواهبه ؛ لأن هذا التقييد يكون أحيانا عائقا دون غاية مايريد من الحرية فى الاستثمار أو معطلا لمواهبه الاقتصادية فى سبيل الربح .

خامسا : دعوة الاغنياء ، الذين لايقدرون على استثمار أموالهم ، إلى إعطائها للقادرين على ذلك ممن ليس لهم مال ، بشرط أن يؤنس فيهم الأمانة وحسن التصرف والصدق والاخلاص ، تضاء على مشاكل البطالة ؛ ولذلك شرعت الشريعة الاسلامية تشريعات كثيرة من هذا القبيل كالمزارعة والمساقاة وسواهما .

سادسا : العامل ليس ضامنا للمال إذا هلك فى يده بدون تعد منه أو تقصير فى حفظه ، أما إذا هلك بتعديه فعليه الضمان وهو مسئول ، فإذا شرط رب المال على العامل أن يكون ضامنا لرأس المال إذا هلك فى يده بدون تعد أو تقصير فسد عقد العمل .

سابعا : حق العامل فى فسخ العقد :

للعامل الحق فى فسخ عقد العمل فى أحوال كثيرة ، منها : أن يصيبه مرض يحول بينه وبين المضى فى العمل ، أو أن يكون وقت العقد صبيا مميزا ثم إدركه البلوغ ، أو أن يشترط رب المال عليه ضمانه رأس المال إذا هلك فى

يده ، أو أن يخل رب المال بشرط من شروط عقد العمل ، إلى غير ذلك من المبررات .

ثامنا : العامل وحق التعويض

وللعامل الحق فى أخذ تعويض من رب المال فى بعض أحوال ، منها :

(ا) أن يتعدى عليه رب المال فيتلف عضوا من أعضائه مثلا .

(ب) أو أن يكون العامل لم يبلغ سن البلوغ بعد ، فإذا أصابه ضرر أو هلك أثناء عمله الذى استؤجر له فان المستأجر يكون مسؤولا عنه ، فإذا قتل الصبى خطأ كأن وقعت عليه جدران المصنع الذى يعمل فيه فديته على عاقلة رب المال ، وعلى رب المال الأجر الذى كان يستحقه المقتول . وإذا أصيب بشىء من الضرر كان عليه التعويض ، أما إذا كان العامل رجلا عند عقد العمل فليس له حق التعويض لأنه مميز مسئول عن نفسه وقد قبل العمل بعد أن رآه وعرف تبعاته ، وإن كان من الاحسان فى المعاملة مساعدة رب المال له بأداء تعويض مناسب لما أصابه ، ولولى الأمر أن يحكم بما يراه من ذلك التعويض . وللاحسان فى المعاملة فى الاسلام نصيب كبير .

تاسعا : لايصح لرب المال أن يعقد عملا مع صبى غير مميز ولا مع مجنون . لأنهما لايعرفان التبعات ولاتلزمهما مسئولية ، حيث لم يدركا حد التمييز .

عاشرا : ليس لرب المال أن يقصى العامل عن عمله إذا انقصت مقدرته على الانتاج بمرض لحقه من جراء العمل أو بسبب هرم أو شيخوخة لحقته بعد أن قضى شبابه وأوقات نشاطه الحيوى فى العمل لرب المال .

والقاعدة العامة فى ذلك أن الغرم على قدر الغنم ، فاذا اتفق رب المال مع

شاب على العمل فقضى مدة نشاطه معه ثم أثرت صحته أو شيخوخته على مقدرته فى الانتاج فليس لرب المال طرده من العمل بل عليه أن يرضى بانتاجه فى الشيخوخة كما كان يرضى عن إنتاجه فى الشباب .

ويرمز الى هذه القاعدة حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه أن رجلا ارهق جملا له فى العمل فهرم فأراد أن يذبحه ليستريح من عبء مؤونته ، فقال صلى الله عليه وسلم : أكلت شبابه حتى إذا هرم أردت أن تنحره ! فتركه الرجل .

الحادى عشر : حق العامل فى الراحة الاسبوعية .

ففى الفقه الاسلامى لو استأجر رجل يهوديا شهرا كاملا كانت أيام السبوت مستثناة من العمل .

هذا هو الحكم والعــامل يهودى وكذلك اذا كان نصرانيا فله أجازته الاسبوعية (الأحد) ... فمابالك به لوكان مسلما ؟ .

هذه هى بعض حقوق العامل التى يقرها التشريع الاسلامى وينفذها ، ولكن الواجب على العامل بعد ذلك كثير ، فعليه الاخلاص فى أداء العمل ، وعدم الطمع فى رب المال ، والامانة ، والمحافظة على المال الذى يعمل فيه محافظته على ماله نفسه ، وهو مطالب بأن يتعاون مع رب المال تعاونا فعالا مثمرا ، الى غير ذلك من الواجبات التى يلزمه بها التشريع الاسلامى

الضمان الاجتماعى فى الاسلام

الأسلام يحث على العمل ، ويحارب البطالة ؛ ويفرض ألوانا من المعاملات التى يشترك فيها الأغنياء والفقراء فى ميـدان العمل ، ويتاح فيها للفقراء فرصة استغلال مواهبهم استغلالا واسعا ، كالمزارعة والمساقاة والمضاربة ، وكالشركة ، وكالعمل ، والأجارة ، والوكالة ، وسواها .

فاذا عجز الانسان عن العمل فهناك ألوان من المساعدات الاجتماعية التى تؤمنه على حياته ، كالزكاة ، والصدقة والاحسان ، وكالملاجىء العامـة التى تفتح الدولة أبوابها للعجزة والمساكين واليتامى والأرامل ، وكأموال الأوقاف العامة للمسلمين التى تصرف فى وجوه الخير والبر والاحسان ورعاية شئون الفقراء

وقرر القرآن الكريم حق الفقراء فى أموال الأغنياء : « وفى أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم » . والمال فى يد الأغنياء إنما هو مال الله استخلفهم عليه ، وأوجب رده على عياله من الفقراء

ويحث الرسول الأعظم على وجوه الخير والبر والاحسـان والتضامن الاجتماعى : « من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته » ، « والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » ، « من مشى فى حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكاف سنين » ، « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، « من لا يرحم لا يرحم » ، « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحـد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » . كما أوصى بالجار أشد وصية وأكدها

ولقد آخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار ، المهاجرين الفقراء الذين جردوا من أموالهم وأخرجوا من أوطانهم ، والأنصار الذين كانوا يقيمون فى أموالهم وأهليهم وأولادهم .. وكان الايثار أغلب شيء على المسلمين ، أرأيت عبادة بن الصامت وقد أهديت له هدية ، ومعه فى الدار اثنا عشر من أهل بيته ، فقال : اذهبوا بهذه الهدية إلى آل فلان فهم أحوج إليها منا ، فذهب بها الوليد ابن عبادة ، فكان كلما جاء أهل بيتا قالوا له : اذهب بها إلى آل فلان فهم أحوج منا إليها ، حتى رجعت الهدية إلى عبادة؟

وقرب الاسلام مع ذلك بين الفقراء والأغنياء بالزكاة والأرث والوصية ونظام الوقف وسوى ذلك من التشريعات التى تتجه إلى إنقاذ الفقير وتمكينه من الحياة ورفع مستواه فى المجتمع

وهناك بعد ذلك كله لعلاج الفقر ، والقضاء على الحاجة ، بيت مال المسلمين الذى يلزم بالقيام على شئون الناس ، وخاصة الفقراء لسد حاجاتهم . وكان للفقراء والمساكين والأرامل واليتامى وأبناء السبيل نصيب معلوم يجرى عليهم من بيت المال . كما كان لهم نصيب فى الغنائم ونصيب فى الزكاة

وكان عمر يفرض لجميع المسلمين عطاء من بيت المال ويقول : « والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد ، وما أنا احق به من أحـــد ، والله ما من المسلمين من أحد إلا وله فى هذا المال نصيب ، إلا عبدا مملوكا . ولكنا على منازلنا من كتاب الله تعالى ، وقسمنا من رسول الله ، فالرجل وبلاؤه فى الاسلام ، والرجل وقدمه فى الاسلام ، والرجل وغناؤه فى الاسلام ، والرجل وحاجته . والله لئن بقيت لهم ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه » . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقسم كل ما يرد إليه

من مال على المسلحين بالمهوية ، وكذلك عمر ؛ ويروى أن عليا كان يقسم ما فى بيت المال كل جمعة حتى لا يترك فيه شيئا

وعمر بن الخطاب يقرر فى بعض عهوده رفع الجزية عن كل من يضعف عن العمل من أهل الذمة ، وبأن يعطى من مال المسلمين ما يكفيه هو وعياله ما دام بدار الاسلام . ولقد رأى ذات يوم يهوديا يستجدى ، وعلم أنه ألجىء إلى هذا بسبب الجزية والسن والحاجة ، فأمر برفع الجزية عنه وعن أمثاله وترتيب نفقة جارية له مدة حياته ، وقال : ما أنصفناه ، أكلنا شبيبته وضيعناه فى هرمه . وفى سفره إلى دمشق أمر بمثل هذا لقوم من النصارى ابتلوا بالجذام فلم يجدوا إلى العمل سبيلا . . وكان من هذه السياسة العادلة التى شملت المسلمين واليهود والمسيحيين أنه لم يكن فى عهد عمر الفاروق من يشكو الحاجة ، ما دامت الدولة كانت تسارع لعون العاجز والمحتاج . وكان الأطفال يعتبرون عاجزين عن العمل ، ولهذا كان يفرض عمر لهم أيضا من بيت المال ما يكفيهم كما يفرض لولى كل طفل رزقا يعينه على تنشئته وتربيته (١)

فهل بعد ذلك نظام أكمل ، للضمان الاجتماعى ، والتأمين الاجتماعى ، من هذا النظام ؟

إن الغرب فى القرن العشرين لم يأت بجديد ، وإن أصول حضارة الغرب مأخوذة من مبادىء الاسلام ، وشريعته الخالدة ، وأعمال خلفائه الأولين ومآثرهم فى العدل وسياسة الملك ومعاملة الرعية .

---

(١) مجلة الأزهر — المجلد الثانى والعشرون — عدد شعبان سنة ١٣٧٠ هـ — من مقال للدكتور محمد يوسف موسى بعنوان : ابن سينا ومشكلات العصر الحاضر

الاسلام ونظام الطبقات

ونظام الطبقات الذائع الآن فى كل مكان لا يقره الاسلام ، وتحاربه مبادئه بكل ما تستطيع

طبقة النبلاء ، وطبقة المترفين والأغنياء ، وطبقة الحكام ، يجب أن تهبط الى مستوى طبقات الشعب

يجب ان تلغى جميع مظاهر الترف من حياتها ، وان تنفذ الضريبة التصاعدية ، لتستنفد هذه الأموال التى تضيع فى اللهو والملذات والشهوات والمجون الآثم الضار

ويجب أن يلغى نظام الألقاب الغاء تاما من الوجود وان تقوم رقابة دقيقة على اموال الدولة .

الغوا نظام الطبقات ، وقربوا بين الناس فى حياتهم ، وخذوا الناس جميعا بقوة القانون ، واضربوا على ايدى العابثين فى كل مكان

فلا جدوى فى حياة تقوم على رفع اناس لمستوى النبلاء ، وخفض آخرين لمستوى الحيوانات

إن بعض مترفينا ينفق على كلب له فى الشهر مالا ينفقه على الفقراء فى عام وينفق فى الحفلات الساهرة وميادين السباق وموائد الخمر أو القمار ، مايكفى لمعيشة آلاف الاسر والعائلات... إننا فى حاجة إلى أيد حازمة ، تعمل للشعب وفى سبيل رفاهيته ما يجب أن يعمل ، وتهتدى بمبادىء الاسلام وأهدافه فى فى الاصلاح

ولكن متى يجود الزمان لنا بنظير لعمر بن الخطاب ، يقود الناس إلى السبيل المستقيم ؟

إن كبراءنا وسادتنا ، على اختلاف طبقاتهم ، يجهلون ابسط المبادىء فى العدالة الاجتماعية ، ولا يعرفون ما عليهم من تبعات ومسئوليات ، باعتبارهم مسيطرين على شؤون الناس ، ويفرطون فى حق الدين والاخلاق تفريطا شديدا حتى ليحلون ما حرم الله .

وكبراؤنا وسادتنا ، من كل لون ، يجهلون جهلا تاما مبادىء الاسلام الخالدة فى الحرية والاخاء والمساواة ، وفى توزيع العدل بين الناس .

إنهم لم يقرءوا تاريخ أعلام الاسلام وحماته وخلفائه ، ولم يسمعوا عن جهاد الرسول الأعظم محمد صلوات الله عليه . لازالة الامتيازات بين الناس والطبقات ولالغاء الفوارق الاجتماعية ، ولجعل السيادة العليا للحق والقانون والعدالة .

إنهم يقرون (فلانا) على السرقة ، والخيانة . والغش ، وبيع الوطن ؛ مادام (فلان) يتمتع بالالقاب والرتب والنفوذ والجاه ، ولا يقرون (عمرا) على ذلك مادام عمرو من رعاع الناس ، ودهمائهم ، فأين عملهم من عمل الرسول الاكرم وقولهم من قوله الخالدة : « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

وأين هذا من عدالة عمر ، وسطوته على سادة المسلمين ، وأخذه للفقير حقه من الغنى ، وقوله : « إلا إن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه » .

إن شعار الاسلام العدل التام ؛ وأن الحاكم راع ومسئول عن رعيته أمام الله . رحمك الله يا عمر إن قولك المأثور : « من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه » لا يزال يرن فى أذنى .

وزعوا العدالة بين الناس بالقسطاس المستقيم ، حتى يطمئن كل ذى حق على حقه ، ويشعر كل انسان بأن من حقه على الدولة أن ينعم بالحياة وبالحرية وبالامن وبـرد العدالة : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، ان الله نعما يعظكم به ، إن الله كان سميعا بصيرا .

لقد أصبحت السيادة للشهوة وللمجون وللاباحية وللخلاعة وللالحاد، وتحطم سياج الشرف والعفة والكرامة، واستبيحت الأعراض علنا، وعلى مرأى ومسمع من الناس، وفقدت الرجولة والمروءة والشهامة والامانة .

لا، ثم لا، أيها السادة ؛ لا تستقيم الامور ، ولا تنتظم شؤون المجتمع بمثل هذا الاعوجاج الشديد ، اين نحن مما نقرؤه عن انجلترا ، وعن قصة ولية العهد ، التي لم تستطع أن تجد المنسوجات اللازمة لملابس زفافها ؛ لأن الأربعة الامتار التي لها في بطاقتها لا تغني شيئا ؛ فتبرع أفراد الشعب لها بنصيبهم المقرر في البطاقات من المنسوجات وبذلك تم لها صنع ملابس الزفاف .

عبس وتولى ، أن جاءه الاعمى ، وما يدريك ؟ لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى . . أما من استغنى ، فأنت له تصدى ؛ وأما من جاءك يسعى وهو يخشى ، فأنت عنه تلهى . . كلا إنها تذكرة ...

١ — ١١ سورة عبس

(٥)
الإسلام والأسرة

هو الذى خلقكم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ليسكن إليها ...

- ١٨٩ سورة الأعراف -

ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون

- ٢١ سورة الروم -

يا أيها الناس : اتقوا ربكم ، الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ... واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ، إن الله كان عليكم رقيبا

- ١ سورة النساء -

الاسرة فى الاسلام

الأسرة هى الوحدة الاجتماعية الأولى فى الأمة ، والنواة الصغيرة التى يتكون منها المجتمع الكبير

ولم يغفل الاسلام الاسرة من حسابه ، بل لقد دعمها ، وقواها ، وربطها برباط مقدس شريف ، وبعث فيها الحب والتعاون والمودة والاخلاص

أساس الاسرة المرأة والرجل ، وقد جمعهما الله عز وجل لغرض عظيم ، وفى ظل رابطة مقدسة ، هى رابطة الزواج

والزواج شركة مقدسة جعله الاسلام قائما على رضا الزوجين ومحبتهما وتعاونهما « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » . ولا يتم عقد الزواج إلا بعد خطوات دقيقة ، الهدف الاول منها إعزاز المرأة ورفع مكانتها ، منها كفاءة الرجل وحده ، والتزامه بمهرها ، وبنفقتها ، ونفقة اولادها ، وبحسن معاملتها ورعايتها

فاذا وجد للأسرة بنين أو بنات فعلى الزوجين تعهدهما ورعايتهما وتأديبهما وتهذيبهما

وعلى الزوجين أن يتصرفا فى مالهما تصرفا سليما ، يقيهما شر الفقر ، ويكفل لأولادهما قسطا كبيرا من الرفاهية والحياة الطيبة

وعلى المرأة أن تكون أمينة على مال زوجها ، وأن تحافظ عليه محافظتها على مالها

وعلى الابن متى كان قادرا أن يقوم بشئون أبيه وأمه وأخواته الفقر . .

ويعول اقاربه ويحسن اليهن ، ما استطاع إلى ذلك سبيلا

فاذا مات الزوج أو الزوجة ورث كل منهما الآخر فى بعض ماله ، ووزع الباقى على من يستحقه بفريضة الميراث ، وفق شريعة الاسلام

ونهى الاسلام عن الوصية للوارث ، قال الرسول صلوات الله : « لا وصية لوارث » . كما نهى عن الوصية لغير الوارث بأكثر من الثلث . وذلك لينتفع أكبر عدد من الأقارب بالميراث . ولتتوزع الثروات الكبيرة فتقل الفروق الاجتماعية بين الناس . فأين هذا من تشريعات اوربا التى تجيز أن تنتقل ثروة الميت إلى الابن الاكبر وحده ، ويترك أخوات هذا الابن عالة على المجتمع وعلى أخيه ، وتجيز للرجل أن يوصى بماله كيفما شاء ولمن شاء .

فاذا كان الزوج قادرا ، ووثق من نفسه العدل والانصاف أباح له الاسلام ان يجمع فى عصمته بين أربع زوجات

وإذا تعسرت الحياة الزوجية ، واستحال الوفاق ، ولم يجد التحكيم ؛ أجاز له الاسلام الطلاق . . ويحرم الاسلام شتى أنواع العلاقات الجنسية الآثمة ، من زنا وبغاء ، ومصادقة . ومتعة ؛ حفظا للأسرة ولكيانها المقدس . . ويكفل الاسلام حرية الأبناء . ويساويهم فى المعاملة ببعض . ويفرض على الآباء القيام على رعايتهم وتهذيبهم وتوجيههم توجيها صالحا فى الحياة

إلى غير ذلك مما شرعه الاسلام لتكوين الأسرة ، ودعمها ، فى المجتمع الاسلامى لتنظيم الاجتماع ، والسمو به إلى الخير والحق والعدالة والطهر والشرف والاخاء

حرية المرأة فى الاسلام

كفل الاسلام للمرأة جميع الحقوق المدنية واطلق لهـا الحرية فى التعلم والتعليم وخدمة المجتمع ، وأعطاها حقوقها المـالية والاجتماعية التى حرمتها الشرائع الأخرى منها

واحتفظ لها بحريتها الشخصية وكيانها المعنوى ، وساواها بالرجل فى الحقوق والواجبات ، وأباح لها تولى القضاء ، وأعطاها حقها فى الميراث : للانثى نصف الذكر ، بقدر أعبائها المادية فى الاسرة .

وجعل المرأة الحق فى أن تملك وتبيع وتشترى وتهب وتقبل الهبة وترهن وتوصى وتعقد باسمها العقود ، وتتصرف فى مالها بسائر ألوان التصرف ؛ دون حاجة إلى إذن زوجها أو ولى أمرها . ولا يوزن الاسلام فى ذلك بأى تشريع حديث ؛ فإن حالة المرأة فى فرنسا لا تزال حتى الآن أشبه بحالة الرق المدنى ، فقد نزع القانون منها صفة الأهلية فى كثير من الشؤون المدنية ، فلا يجوز للمتزوجة بيع ولا شراء ولا هبة ولا رهن ولا وصية ولا أى عقد من هذا اللون إلا بإذن زوجها وتصديقه . وفى أغلب القوانين الحديثة تفقد المرأة بمجرد زواجها اسمها واسم أسرتها ، وتنتسب إلى زوجها وأسرة زوجها . وفقدان الاسم رمز وعنوان لفقد الشخصية المدنية باندماجها فى شخصية الزوج كما يقرر علماء القانون .

والاسلام يفرض نفقة المرأة على أبيها أو ولى أمرها قبـل الزواج ، وعلى زوجها بعده ، غنية كانت أو فقيرة . فإن لم يكن لها عائل فنفقتها ونفقة أولادها من بيت المال .

وجعل شهادة المرأتين مساوية لشهادة رجل واحد ، لأن المرأة أكثر عاطفة

وتأثرا وقبولا للاغراء ، فاحتاط الاسلام للعدالة وضمانها أكبر احتياط .

ويقول رسول الله من خطبته فى حجة الوداع : أيها الناس إن لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا . لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة ، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيرا ، إنهن لا يملكن لأنفسهن شيئا . وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله .

وقد حرم الاسلام ألوانا كثيرة من رق المرأة : حرم الزنا والبغاء وشتى ضروب المهانة التى تنزل بها ، ورفع كرامتها وجعل صلتها بالرجل مبنية على أساس رباط مقدس أباحه الاسلام وأكده ورعاه وهو رباط الزواج وجعلها راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ... وأطلق لها حرية الرأى والتعبير حتى قال عمر : « أصابت امرأة ، وأخطأ عمر » .

وأوجب معاشرتها بالمعروف واستوصى بالنساء خيرا .. وجعل لها الحرية فى الرضا بمن تتزوجه ، وفى الصحيحين أن خنساء بنت جذام زوجها أبوها وهى كارهة وكانت ثيبا فأتت رسول الله فرد نكاحها

إن هذه الحرية التى أعطاها الاسلام للمراة لا نظير لها فى أية شريعة من الشرائع وليست الحرية عنده الا بالشرف والعفاف والكرامة المعنوية .

المساواة مطلقة بين المراة والرجل فى الحقوق الواجبات . والمراة زميلة الرجل فى الحياة ولكن منطق العقل والدين جعل لها البيت وجعل على الرجل تحمل الأعباء العامة وادارة شؤون الزراعة والتجارة والصناعة وشؤون وطنه العامة والقيام بأعباء السياسة والادارة والحرب والأمن ... اما خروج المرأة من البيت ومطالبتها بحقها فى تولى المناصب السياسية فى الأمة فهانة لا يقبلها عقل، واسراف لا تتحمله شريعة ، ومنطق لا يوافق عليه كل ذى عقل سليم .

تعدد الزوجات فى الاسلام

وقف كثير من الباحثين الغربيين حيال تعدد الزوجات فى الشرق موقف الناقم الساخر المتهكم . وقالوا لقد ظلم الشرق المرأة ، وهدم الأسرة ، وقوض دعائم الحياة الاجتماعية فيـــه . باباحة تعدد الزوجات مما كان سببا فى تأخره وضعفه ووقوفه فى معترك الحياة الانسانية جامدا أجيالا طوالا .. وكذبوا فيما قالوا

لقد ذاقت المجتمعات الغربية الآلام التى لانهاية لها من وراء تحديد الزواج بامرأة واحدة فانتشرت الرذائل الاجتماعية بينهم . وقل وفاء الرجل لزوجته واخلاص الزوج لزوجهـــا واتخذ الرجل له صديقات واتخذت المرأة لها أصدقاء .

وشقى الرجل بتربية أولاد علم الله أنهم ليسوا بأولاده كما شقى بحرمانه من الزوجية الطاهرة السعيدة وكان هذا كله مثار افكار جديدة جهر بها بعض علماء الاجتماع فى أوروبا . فنقدوا هذا الحجر الفاسد الذى أفسد الاخلاق ودعوا إلى التحرر من نيره الثقيل .

جاء الاسلام والحياة الزوجية فى فوضى جامحة لاتقيد الناس بعدد محدود من الزوجات . فقد يجمعون بين عشرات الزوجات ويجورون فى معاملتهن ومعاشرتهن ، فكان بين خطتين فإما أن يمنع تعدد الزوجات منعـــا باتا فيفرض الاقتصار على واحدة . وإما أن يخفف وطأة هذا التعدد الجامح . وينظم تلك الفوضى العائلية باتخاذ طريق وسط فلا يحرم الرجل من التمتع باكثر من واحدة ويقطع التعنس والعزوبة . . وقد آثر الاسلام الاتجاه الثانى فاباح للمسلم الجمع بين أربع زوجات بشرط أن يعدل بينهن وألا يجور فى معاملتهن .

وكان المشركون قد ألفوا الزواج بعشرات النســاء ورأوه ضرورة من ضرورات الحياة فهل يطالبهم بالاقتصار على واحدة ؟ ذلك نشوز على أوضاع الحياة وضرورات الاجتماع وفيه الطفرة التى لا يؤمن معها من الهلاك . ولو فعل ذلك لأوضعوا خلال المسلمين يبغونهم الفتنة ليطفئوا ظمأ الشهوة . وكيف يضع الاسلام قانونا يوقع الناس فى العنت والارهاق . وهو دين البشرية الخالد وشريعة السماء الباقية ، وما منهجه فى التشريع الا التدرج الطبعى فى أمور الدين رفقا بالناس وسعيا بهم إلى الكمال الاجتماعى المنشود .

وحكمة ثانية لهذا التعدد الحكيم هى أن الاسلام يرمى إلى الاكثار من العدد وخير سبيل الى ذلك هو إباحة التعدد وقد تكون الزوج عقيما لا تلد فلو الزم الرجل بواحدة دون سواها انقطع نسله وذهب أثره ، ولو قلنا له طلقها وتزوج سواها لكنا ثائرين على شرعة العدالة والوفاء ولأخرجنا المطلقة من حياة الزوجية الى حياة تعيش فيها كلا على الناس ، ولو لم نقل بالتعدد لدفعنا بها الى الفناء البطىء ولحببنا الفاحشة والرذائل الى نفوس المحرومين من التعدد .

على ان عماد الأسرة فى الريف وغير الريف على ابنائها فهم الذين يديرون حركة البيت ويقومون باعباء الأعمال وكلما كانت الاسرة أكثر عدداً كانت أقدر على تحمل مآسى الحياة ، وكلما كانت الأمة أكثر عددا تستطيع حماية الوطن والدفاع عنه .. ولهذا نحن فى حاجة الى أن تسند الأسرة المصرية بالأيدى العاملة الكثيرة ولا سبيل الى ذلك الا بإباحة تعدد الزوجات لمن يريد حتى يشعر الرجل بأن من ورائه أيادى تؤيده وسواعد تعينه على حمل أثقال الحيــاة وشدائد الدهر وآلام الكهولة .

لقد قضت الحرب الحاضرة على زهرة الشباب فى ورربا فأصبحت الأمم

تواجه أزمة خطيرة من كثرة النساء وقلة عدد الرجال ولا سبيل إلى علاج تلك الأزمة الا بالرجوع الى مبادىء الاسلام باباحة تعدد الزوجات لحفظ النظام الاجتماعى وتيسير الحياة على الناس .

المراة والدين والأمومة

المرأة جمال البيت ، وملاذ الطفولة ، وعماد الرجل ، ودعامة الأسرة

وقد رعى الاسلام المرأة وحقها فى الحياة ، وحررها من جور الرجل ، وجعل لها ماله من حقوق وواجبات ،

إن الاسلام يقرر للمرأة :

١ — حريتها الشخصية فى حدود القانون

٢ — ويبيح لها أن تتعلم وتدرس وتثقف نفسها وتهذب خلقها

٣ — ويساويها بالرجل فى الحقوق والواجبات العامة

٤ — ويعترف بشخصيتها المدنية فأباح لها حق التعامل ، وجعل لها نصيبها العادل من الحقوق المالية والواجبات

٥ — ويبيح لها أن تساهم فى الأعمال الاجتماعية والانسانية العامة ، كخدمة المرضى ، ومواساة الجرحى ، والتخفيف عن المنكوبين ، والاشتراك فى أعمال البر والترفيه عن الفقراء ، والخروج مع الجيش لخدمة الجرحى والقتلى وابعث الحمية فى نفوس الجند

٦ — ويقر لها حق الوعظ والارشاد والفتيا والقضاء ، وإن كان يجب أن تعرف أنه يبيح لها ذلك إذا عرض أمر أو وقعت مشكلة ، لا أنه يخصصهن

لذلك ، وفرق بين من يساهم بقسط فى السياسة العامة لبلده متى ما احتاج الأمر ذلك وبين من يخصص نفسه للعمل السياسى . فالاسلام يعتبر المرأة عضوا فى المجتمع الانسانى ؛ تخدمه بشتى الوسائل ؛ فتعظ الجاهل ، وتقى المستفتى ، وترشد الضال وتنهى العاصى ؛ ولكن على ألا يكون ذلك وظيفتها فى الحياة ، بل تقوم بذلك مع انصرافها إلى منزلها وبيتها ؛ فلم يعين الرسول « ص » ولا الخلفاء بعده امرأة فى القضاء أو الولاية والجباية إلى غير ذلك من الأعمال ؛ وأمر بنته فاطمة بخدمة البيت وأمر عليا بكسب العيش وقضاء حاجات أهله . وإن كان قد قال (ص) : « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » يعنى عائشة رضى الله عنها

أما الأعمال السياسية التى تنادى المرأة بوجوب اشتراكها فيها مع الرجل ، كحق الانتخاب ، وأن تكون نائبة ، وعضوا فى مجلس الشيوخ ، ووزيرة ، ومديرة ؛ وما شابه ذلك كأن يباح لها حق تعيينها قاضية وغير ذلك من الوظائف العامة . كما حدث لنساء أوربا وأمريكا

فدار ذلك على نضج المرأة الاجتماعى والعقلى ، وعلى أن يتاح للنساء عندنا حظ من التعليم والثقافة بمقدار ما أتيح لنساء أوربا وأمريكا ، وإن كان الزمن سيحتم أخذ المرأة حقوقها فى وقت ما

والاسلام يعترف للمرأة بحق اشتراكها فى الشئون العامة ، وبأن تشير وتستشار فيها ، وإن كان لا يخصصها لهذا العمل ولا يوقف حياة امرأة عليه ، لأن ذلك محاربة للأنوثة وواجباتها التى نيطت بالمرأة . والمرأة التى ردت على عمر رأيه فى تحديد المهور امرها معروف مشهور

هبوا ان المرأة اصبحت موظفة تقضى فى عملها الخارجى بعيدا عن المنزل

بضع ساعات من النهار ، فماذا يترتب على ذلك من نتائج ؟

يترتب على ذلك أن :

١ — تزاحم المرأة الرجل فى الوظائف فنخلق مشكلة البطالة بأيدينا

٢ — ولا تستطيع أن تقوم المرأة بالأعمال والواجبات التى يستطيع أن يقوم بأعبائها الرجل

٣ — وتعزف الفتاة الموظفة عن الزواج غالبا كما هو مشاهد فى أوربا وأمريكا ، ولهذا أثره فى قلة النسل وفى انحدار هذه الفتاة إلى بؤرة الرذيلة وإلى صداقات الرجال

٤ — ويضيع شباب المرأة العاملة ويذبل جمالها سريعا

٥ — ولا تجد بعد أن تعجز عن العمل بتأثير المرض أو السن من يعولها من زوج أو ولد

٦ — وإذا كانت للمرأة الموظفة أطفال فستعتمد فى تربيتهم على المربيات وبذلك ينشأون نشأة شقية ويفقدون الشعور بعطف الأم ويتعودون فاسد العادات

وسيقال إن للمرأة فى ميدان العلوم والآداب والاختراع والفنون ميدانا فسيحا ، فلم لا تكون أستاذة وفيلسوفة الخ ؟

والذين يقولون ذلك ينسون أن المرأة لم تبلغ فى نبوغها مبلغ الرجال ، وهل سمعنا بجائزة علمية كانت من نصيب النساء ؟ إن الجوائز — وهى من أقيسة النبوغ البشرى — تكاد تكون مقصورة على الرجال ، والنساء العالمات اللاتى يرتفعن إلى صف الصفوة المختارة من رجال الفكر نادرات جدا . وسواء أكان

السبب فى ذلك يرجع إلى أن عقل المرأة يغلب عليه الخيال والجنوح إلى العاطفة لا إلى التفكير والاستنباط . أم كان السبب ان قواها العقلية يقف نموها بعد العشرين بينما يستمر نمو القوى العقلية فى الرجال ، فما لا شك فيه ان التحصيل العلمى العميق لا نجده عند النساء أو الفتيات ، وفى ذلك يقول أحد المفكرين ، « تحصيل المرأة سطحى دائما ولهذا يجب الاعتماد على الرجال وحدهم » . ولم يشتهر من النساء فى العصر الحديث إلا مدام كورى . . وتقول مدام دى جيرارد ، « كل الأمور التى تحتاج إلى غريزة وإلهام يتفوق فيها النساء على الرجال ، اما التى تحتاج إلى التدليل والبحث العلمى فيتفوق فيها الرجال عليهن تفوقا هائلا » .

ويقول الفيلسوف الاشتراكى برودون : « النوع الانسانى ليس مدينا للنساء بأى اكتشاف صناعى ولا بآلة . والدور الذى لعبته المرأة فى الآداب لم ينفع إلا حيث لا يلزم استعمال القريحة » .

وإذا كانت هناك مدرسات وعالمات ، فان هناك فرقا بعيدا بين التدريس والنبوغ العلمى ، على أن أغلب المدرسات يدرسن للأطفال وللفتيات اللاتى تتفقن معهن فى الطبيعة والعاطفة والخيال

إننا لو « خلينا المرأة - باسم المساواة - تتخلى عن عملها فى البيت ، وتدع حرفة الأمومة ، لتنطلق فى ميادين الرجال صانعة أو مهندسة أو موظفة فى المكاتب والشركات ، لو خليناها تفعل ذلك لأنها إنسانة وآدمية فحسب ، لكان مثلنا مثل من يوجه الرجال جميعا نحو ميدان واحد . أليس هناك فرق بين اشتغال النساء بالبيوت والأمومة واشتغال الرجال بالصناعة والتجارة والسياسة ، إلا مثل الذى أجده فى توزيع الأعمال بين العلماء والقضاة والمهندسين والأطباء وسائر طوائف الموظفين والصناع (١)

---

(١) ص ٢٨ هلال يوليو ٩٤٧ من مقال للسيدة بنت الشاطىء بعنوان « عدل لا خير فيه »

لقد اثبت البحث ان :

ا — المرأة أضعف من الرجل عقلا وأقل منه صلابة وأوهن قوة . ويكفينا برهانا على ذلك أن تعلم أن :

١ — متوسط طول المرأة أقل من متوسط طول الرجل بمقدار ١٢ سم

٢ — وزنها أقل من وزن الرجل ٥ كيلو . فوزنها ٥ر٤٢ ك ووزن الرجل ٥ر٤٧ ك

٣ — مجموعها العضلى أقل منه كمالا عند الرجل

٤ — قلبها أخف من قلب الرجل بمقدار ٦٠ جراما فى المتوسط

٥ — وجهازها التنفسى يحرق فى الساعة ٦ جراما من الكربون ، بينما يحرق الرجل ١١ جراما . ولذلك فحرارة المرأة أقل من حرارة الرجل

٦ — وحواس المرأة الخمس أضعف من حواس الرجل ، فلا تستطيع إدراك رائحة عطر الليمون على بعد محدود إلا إذا كان العطر ضعف المقدار الذى يدركه الرجل أى أن حاسة الشم عند المرأة نصف حاسة الرجل . وتحتمل المرأة الألم أكثر من الرجل مما يدل على قلة إحساسها به ، ولهذا فائدة عظمى فى حفظ النوع الانسانى ، فان المرأة هدف للحمل والرضاع والولادة ، فلو لم تكن أقل إحساسا لما استطاعت تحمل تلك المشاق

٧ — ولا شك أن تعرض المرأة للحيض وفقدها بسببه جزءا كبيرا من دمها ، ثم تعرضها للحمل والولادة والرضاع يوهن كثيرا من قوتها ، فوق ضعفها الطبيعى

ب — ولا تختلف المرأة عن الرجل باختلاف شكل أعضاء التناسل فقط ،

بل كل الأعضاء الأخرى التى تظهر أكثر تشابها فى الرجل والمرأة تتباين فى الحقيقة تباينا خاصا إلى نوع ما . وهذا الاختلاف الطبيعى هو اختلاف بيولوجى حيوى بين الرجل والمرأة والرجل . إذ لا شك ان أعضاء المرأة قد خلقتها لتكون زوجة وأما ومرضعا ، وأعضاء الرجل قد جعلته زوجا وأبا وعائلا

ج - ولم يقف الاختلاف بين الرجل والمرأة عند تركيبها الجسمانى فحسب ، بل شمل قواهما العقلية أيضا :

١ — فمخ المرأة أقل من مخ الرجل بمقدار ١٠٠ جرام فى المتوسط

٢ — ونسبة مخ المرأة الى جسمها ١ على ٤٤ ، بينما تبلغ نسبة مخ الرجل الى جسمه ٦ على ٤٠

٣ — ومخ المرأة أقل ثنيات ، وتلافيفه أقل نظاما من مخ الرجل . ولذلك فهى أقل ذكاء

٤ — ومركز الاحساس عند المرأة أحسن تركيبا منه عند الرجل وهذا مطابق لمميزات الجنسين ، فإن المرأة أكثر انفعالا والرجل أكثر ذكاء

د — وليس النقص فى قوى المرأة الجسمية والعقليـــة امتهانا لكرامتها أو وضعا لها فى مكانة أقل من مكانة الرجل ، بل لأن وظيفتها التى خلقت لتؤديها لاتقتضى أكثر مما منحته من القوى .

إن الله عز وجل خلق الجنسين ليتعاونا فى هذه الحياة لاليتنافسا ؛ فوهب كلا منهما بميزات توجهه فى خدمة المجتمع وجهة خاصة : وهب الرجل القوة والعقل والحزم فكان العامل والصـــانع والزارع والجندى والقائد ، ووهب المرأة الخيال والعاطفة ورقة الاحساس وجعلها أضعف بنية وأقل حزما وتفكيرا

وأسرع نسيانا ، تعتمد على الذاكرة والتقليد لا على الاستنباط والتفكير فوجب ن تكون زوجة وأما لا وزيرة أو موظفة أو عاملة

إن مقتضى التكوين الطبيعى اختصاص المرأة بالحمل والرضاع وحضانة الاطفال وتربيتهم وتدبير المنزل ، فكيف تحمل مع هذه الواجبات الثقيلة واجبا آخر هو كسب العيش والكدح فى الارض فتقتلونها من حيث تريدون لها الحياة

يقول أحد شعراء الفرس : « ان الله عند ما أراد أن يخلق المرأة جمع رقة النسيم وأريج الزهر ونور الشمس وابتسامة الربيع فخلق منها المرأة »

ويقول لوثر : ليس على الأرض أكثر رأفة من قلب المرأة ومسكنا للعطف ، ويقول نابليون - « الرجل نثر الخالق والمرأة شعره »

إن نفسية المرأة تتأثر بعاملين :

الاول : تركيبها الجثمانى (الفزيولوجى)

والثانى : وظائفها الطبيعية (الفزيولوجية)

فيدفعها تركيبها والغريزة الجنسية التى فطرت عليها ، كما تدفعها وظيفتها الطبيعية لأن تكون زوجا وأما متى ما نضجت أنوثتها وتم نموها ... وفى ميدان الزوجية يتحتم على المرأة أن :

١ — تسهر على تدبير المنزل والعناية به

٢ — وتشارك الرجل فى أفراحه واحزانه

٣ — وأن تربى أطفالها إذا ما أصبحت أما لأطفال

فهل تترك المرأة هذه الواجبات اعتماداً على الخادمات والمربيات ؟ وهب انها قضت فى العمل بعض اليوم ثم عادت الى البيت لتقوم بواجباتها نحوه ، فهل نعتقد أن ذلك يخلق سعادة زوجية ؟ لا ، فالمرأة التى تعتقد انها فى غنى عن كفالة الرجل قلما تبذل جهدا فى جعل الحياة الزوجية سعيدة ، ولأقل سبب تفصم عروتها المقدســة ، ومارأى هؤلاء إذا نقلت المرأة الموظفة إلى مكان بعيد ؟

والمرأة لا تستطيع أن تناهض الرجل أو تنتصر عليه فى ميدان السياسة ، فهو أطول منها فى ذلك باعا ، وأكثر مقدرة ، وأوسع حيلة ودهاء .

وأمامنا الملكات اللاتى تولين العروش ، فلم يظهرن عبقرية ، ولم يستغنين عن الرجال وكليوباترة وشجرة الدروكاترينا والملكة فيكتوريا تاريخهن مشهور معروف .

وسيقولون إن أزمة الزواج المنتشرة توجب اشتغال الفتاة بالأعمال حتى تضمن رزقها ومعيشتها ، مادامت لا تجد الزوج الذى يقوم بذلك .

وهذا اعتراض غير مستقيم ، فأزمة الزواج علاجها معروف ، وقد يكون من أهم أسبابها عدم محافظة الفتاة على شرفها مما أثار الشكوك حولها ، فلو اهتم المصلحون بعلاج هذه الازمة وبتحصين أخلاق الفتاة والفتى . لاستقامت الأمور وصحت الأحوال .

والرجل إذا كان قد قام ببعض أعمال المرأة ، فلم يقم إلا بالعسير المرهق منها للمرأة نفسها ، كالخبز والطهى والتطريز والحياكة وتربية الأطفال ، وذلك لخدمة المرأة ومساعدتها على النهوض بواجباتها المنزلية ، وتهيئة الوقت الكافى لها لتثقف

نفسها وترقى بحالتها العقلية والخلقية والأدبية ، ولم نسمع أن امرأة شكت من قيام بعض الرجال بهذه الأعمال .

منطق الحياة : ـ

« ان الطبيعة التى جعلت فى كيان الانثى مكان الولد وفى ثدييها النبع الالهى لغذائه ، وفى خلقها الصبر على تكاليف تربيته وحضانته ، وجعلت فى الرجل خشونة المقاتل وقوة المكافح وجلد الصياد » كما تقول السيدة بنت الشاطىء هى التى فرقت بين الرجل والمرأة ولم تجعل للمساواة بينهما سبيلا

« والمرأة بأنوثتها قد كانت منذ الأزل الحبيبة الشائقة والملهمة الفاتنة والسيدة الحاكمة ،

تعنو لها جباه الملوك وترنو اليها أبصار الفرسان ، ويحوم حولها رجال الفن وعشاق الجمال ، ويتخذها الرجل فى بيته حرما مصونا ، لا يمسه غبار ، ولا تجرحه الأعين ، ولا تناله الأيدى ، ولا تتطاول اليه الأعناق كما تقول بنت الشاطىء . فقارنوا بين حالتها هذه فى القديم وحالتها الحاضرة الآن ، حيث امتهنت كرامتها ، وأصبحت شيئا رخيصا مبتذلا ، وضاعت مكانتها الأدبية ، وفقدت كثيرا مما أكسبتها اياه قوانين الطبيعة الحكيمة الملهمة .

« ان القانون الطبيعى الذى يخصص الجنس اللطيف للحياة المنزلية لم يتغير » كما يقول أوجست كونت الفيلسوف . « وان المرأة الحديثة تهدم مملكتها حين تحاول القبض على زمامنا كما يقول كانابليس . والله عز وجل عندما أراد أن يخلق حواء من آدم لم يخلقها من عظم رجله لئلا يطأها ولم يخلقها من عظم رأسه لئلا يسودها ولكن خلقها من ضلع من أضلاعه لتكون مساوية له وقريبة من قلبه كما يقول الأوديون . ولا يزال بعض علماء الغرب وفلاسفته وبعض حكوماته يرى ان

تعيش المرأة فى بيتها بعيدة عن الأعمال العامة ، ويتهكم شو بنهور عدو المرأة بدعاة مساواتها بالرجل فيقول : « اتركوا للمرأة حريتها ولا تجعلوا عليها رقيبا ، ثم قابلونى بعد سنة واخبرونى بالنتيجة » .

ان المرأة حين تخرج من بيتها باحثة عن حريتها تقيد نفسها وحريتها بأوثق السلاسل والاغلال .

وإذا كان بعض فتياتنا يعملن الآن فى الأعمال العـــامة ، فإنهن ولا شك يجتهدن أن يوفقن بين ذلك وبين الحياة الزوجية . ومن الواجب على حكوماتنا ان تساعدهن على ذلك ، وان تضمن لهن السعادة فى الحياة .

يجب ان تبقى الموظفات فى الوظائف العامة التى لا تستغنى الدولة عن نشاطهن فيها كالتدريس فى مدارس البنات وكالتمريض والتطبيب وسواها على ان لا تحول بينهن وبين الحياة الزوجية . أما الوظائف التى يمكن ان يعمل فيها الرجال فيجب أن ترد المرأة منها إلى البيت وتصرف لها مكافأة كبيرة نظير رجوعها الى حياة المنزل فى ظلال الزوجية .

وعلى الفتيات والنساء ان يحافظن فى كل مكان على شرفهن ومكانتهن الادبية ، عليهن ان يتجنبن التبذل والأمعان فى اللهو والانصراف الى الفساد وعليهن حفظ كرامتهن ، وأن تتيح لهن مقدار كبيرا من الثقافة ، ثم تتيح لهن زواجا سعيدا وحياة زوجية كريمة بمحاربتنا لأزمة الزواج وبضربنا على ايدى المستهترين واللاهين والعابثين ، وبغير ذلك من الوسائل ؟

« لقد رأيت بعينى أن منح الحقوق السياسية للمرأة الفرنسية عام ١٩١١ لم ينشأ عنه أى خير بل ازدادت متاعب فرنسا على أثره »

مدام بول هيرفور

من زعيمات الحركة النسائية فى واربا

(٦)
الإسلام والتربية

ربنا تقبل منا ، إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ، يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ؛ ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم

١٢٧ — ١٢٩ سورة البقرة

هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . . وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين

- ٢ سورة الجمعة -

دين يدعو الى العلم والتهذيب

والاسلام يدعو إلى العلم والتعلم بكل وسيلة يستطيعها الانسان، ويحض العقل على التأمل والتفكير، ويفرض على العالم إرشاد الجاهل؛ وهو بحق دين العلم والمدنية والعرفان، . وقد صحبت الثقافة الاسلام فى كل مكان. وكانت العواصم الإسلامية الكبرى تموج بالعلم والعلماء. ومنها انبعث نور المعرفة إلى أقاصى الدنيا. وكان الخلفاء والأمراء والملوك يشجعون العلماء والأدباء ورجال التربية والثقافة والفن تشجيعا مستمرا

كل هذه حقائق لا يستطيع أن يمارى فيها إنسان

أما التربية الاسلامية الصحيحة، فهى مفروضة، فعلى الآباء تربية ابنائهم وإرشادهم، فى المنزل والمسجد وفى المدرسة، وفى مجالس العلم والعلماء. وعلى الحكومة أن تتيح الفرصة لكل إنسان أن يتعلم وأن يصل إلى أقصى درجة من المعرفة

وأساس التربية تنبيه الضمير، وتقويم الوجدان، وتهذيب السلوك، وتنمية الادراك. وعلى المعلم أن يكون قدوة للمتعلمين فى آدابه وأخلاقه وسلوكه

ولا فرق بين المرأة والرجل والفتاة والفتى فى مجال التربية والثقافة: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة». وكان النساء يحضرن مجالس رسول الله ويسمعن إرشاده وتوجيهه، وكانت عائشة أم المؤمنين تفقى الناس، وفيها قال رسول الله: خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء

كما أنه لم يكن هناك فرق بين العناصر والألوان والأجناس فى هذا المجال : مجال التربية والتعليم والثقافة ، وكان كثير من أعلام العلماء فى الأمة الاسلامية من أصول وعناصر غير عربية .. فأين هذا مما يحدث الآن فى أمريكا من حرمان الزنوج السود من مساواتهم بغيرهم حتى فى ميدان الثقافة . ولعلك قرأت قصة الطالب الزنجى « برس لى جوليان » الذى كان متفوقا طول حياته فى دراساته حتى نال درجة أستاذ فى الكيمياء ، فرفضت جامعة هارفرد أن تعينه فيها معيداً بحجة أن الجامعة تخشى أن يأبى البيض أن يقبلوه معلما لهم

إن الاسلام الذى حرر العقل البشرى من كل قيد ، هو الذى حرر الثقافة وميدان التربية من كل الأغلال القديمة والحديثة على السواء.

وأساس التربية الاسلامية إنسانى محض : إشعار الانسان بأنه مسئول عن الانسانية جميعا . . . اقرأوا إن شئتم قوله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يغرس غرسا ، أو يزرع زرعا ، فيأكل منه طير أو إنسان او بهيمة ، إلا كان له به صدقة » ، او قوله : لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، او قوله : « إن الله تعالى كتب الاحسان على كل شىء » ، أو قوله : « إذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد احدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » ، او قوله : « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلا هى اطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » ، او قوله لأعرابى أجهد بعيره فلما كل من العمل اراد ان ينحره : « إن بعيرك يشكوك ، اكلت شبابه حتى إذا كبر تريد ان تنحره » . . فستجدون الطابع الانسانى واضحا كل الوضوح فى كل كلمة وكل عمل وكل مبدا وكل تشريع فى الاسلام عامة وفى التربية الاسلامية خاصة

يبنى ، اما نول كانت ، مذهبه فى الأخــلاق على ان حسن النية هو الأساس الأول فى الاخلاق . . ولعلكم تذكرون قول الرسول الأعظم : « إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى » ، وتعلمون ان محمد بن عبد الله سبق الفلاسفة كما سبق المشرعين والمفكرين إلى كثير من النظريات العامة فى الاخلاق والاجتماع والتربية

ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن
وما يخفى على الله من شىء فى الأرض
ولا فى السماء

- ٣٨ سورة ابراهيم -

يابنى إنها إن تك مثقال حبة من
خردل ، فتكن فى صخرة أوفى السموات
أو فى الأرض ، يأت بها الله إن الله
لطيف خبير

- ١٦ سورة لقمان -

(٧)
الاسلام والنظم الاقتصادية

فآت ذا القربى حقه ، والمسكين . وابن السبيل . ذلك خير للذين يريدون وجه الله . وأولئك هم المفلحون .. وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله ، فاولئك هم المضعفون

-٣٩ سورة الروم-

اشتراكية عادلة

يقول الرسول الاكرم: « من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به به على من لا زاد له

ويقول : ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع إلى جانبه وهو يعلم .

ويقول : من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام ثلاثة فليذهب برابع ، بخامس .

وآخى رسول الله صلى الله عليه بين المهاجرين والأنصار ،أى بين الفقراء والأغنياء، بين المشردين عن أوطانهم وأموالهم والمقيمين فى وطنهم ومالهم وأهليهم .

وكان يقول يامعشر المهاجرين والانصار : إن من اخوانكم من ليس له مال فليضم أحدكم اليه الرجلين والثلاثة

وعن جابر بن عبد الله قال كان لرجال منا فضل أرض ، فقالوا نؤاجرها بالثلث أو الربع أو النصف ، فقال الرسول صلى الله عليه من كانت له أرض فليزرعها أو يمنحها أخاه ولا يؤاجرها اياه .

وقد شرع الاسلام نظام الوقف لتكون الأرض أو العقار ملكا للمجموع وتصرف فى مصارف الخير والاحسان . وفوق ذلك فقد حرم الاحتكار ، احتكار الأقوات العامة ؛ ويشبهها احتكار موارد الثروات العامة .

كما حرم الربا ، حرمه لأنه مظهر للاثرة والانانية وحب الذات فالفقير الذى يقترض منك جنيها لا يصح ان تأخذه منه جنيها وربعا اوثلثا او نصفا والا كانت نفسك جشعة لا تعرف معنى الدين والايثار والانسانية

وأوجب الزكاة وحارب ابو بكر العرب حين منعوها وجعلهم مرتدين

وفرض الصدقات والاحسان، ونهى عن اكل اموال الناس بالباطل ، وعن الطمع فيما فى ايدى الناس

وطالب باعطاء الناس حقوقهم ؛ واعطاء الاجير أجره وبايداع الأغنياء اموالهم فى ايدى الفقراء ليعملوا بها على اى لون من الوان العمل والتصرف : شركة او مضاربة او مزارعة او مساقاة

وشرع نظام القرض والوديعة والاعارة والوصية والهبة .. وفرض فرائض الميراث .

اوليس كل ذلك خطوة حاسمة لتقريب مابين الطبقات ولمحاربة الفقر وعلاجه علاجا حاسما . ولخلق جو من المودة والتفاهم بين الفقراء والأغنياء ، ولنشر روح من السماحة والاخاء والتعاون ؟

هذا وغيره من مبادىء الاسلام الخالدة هو الاشتراكية بأجلى معانيها واروع اهدافها واسمى غاياتها والوانها .

اشتراكية تحارب الرأسمالية الجشعة المتنمرة ، وتحارب الشيوعية المتلصصة المتذبذبة ، وتحارب الماركسية المتطرفة الحمقاء . وتحارب الفوضى فى المجتمع ، وتقتل بذور الشقاق والخلاف والعداوة بين الناس والطبقات

اشتراكية هى العدل والتعاطف والمحبة ، وهى الايثار والتضحية ، وهى تقديم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ، وهى الألم لشقاء الناس والبذل لما فى اليد ومساعدة كل ذى محتاج

اشتراكية لا تدع لذى ألم ألما ، ولا لذى حاجة حاجة ، ولا لذى كربة كربة .. من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة »

اشتراكية مبدؤها : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » و « عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به » . فأين هذا من قول برناردشو فيلسوف العصر : « لا تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به » . . ووصيتها : « مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » ، فأين من هذا قول برناردشو : « لا تحب جارك كما تحب نفسك ، فانك إن كنت سعيدا بنفسك فان ذلك قحة ، وإن كنت على العكس فان ذلك ضرر

اشتراكية ما أجل معناها ، وأدق مغزاها ، وأعظم أهدافها وغاياتها

ولقد آخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار ، وحجر عمر على قريش أن يهاجروا إلى الاراضى المفتوحة حرصا على امتلاكها حتى لا يضيقوا على عباد الله فقال : ألا وإن قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده . ألا أما وابن الخطاب حى فلا » . والايثار وحض القرآن الكريم عليه معروف : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » ؛ وقد جعل الله تعالى الفيء لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل لئلا يستأثر به الأغنياء وحدهم فقال : ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب »

كل هذا من مظاهر اشتراكية الاسلام العادلة ، وشريعته السمحة البرة الرحيمة بالناس والفقراء والمجتمع . ويقول الاستاذ الكبير الشيخ محمد عبد اللطيف دراز من كلمة له : إن الاسلام مكن للحرية يوم غرس عقيدة التوحيد فى القلوب ، ويوم علم المسلم أن لا يذل إلا الله ، وأن لا يستعين إلا بالله ، وأن لا يتوكل إلا على الله ـ

وأن لايشعر بجلال أو كبرياء إلا لصاحب الجلال الكبير المتعال ، ويوم حارب كل تأله كاذب للادعياء ، الذين ظهروا فى تاريخ الانسانية ، متألهين متجبرين ، وتبعهم الناس جاهلين ، أو مخدوعين : « إن كل من فى السموات والارض إلا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » .
ولقد كان صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم أكبر معلم لحرية الفكر . يوم نادى فى عاصمة الوثنية بتوحيد الله ويوم صبر على الأذى فى سبيله ، وتحمل العنت لابلاغ الرسالة . وإزاحة العوائق من طريقها . وهل كانت هجرته إلا تقريراً لحرية العقيدة ؟ وهل كانت حروبه التى صحبت دعوته إلا دفاعا عن حق من حقوق الانسانية العالية ؟ هو حق كل امرىء أن يعتنق مايطمئن اليه من آراء تتفق مع الفطرة السليمة ، من أجل ذلك شرع القتال ، وقال القرآن الكريم : « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ، ويكون الدين كله لله » . والفتنة استخدام القوة فى مصادرة الآراء الصحيحة ، واضطهاد المبادىء السليمة ، وكما أقام الاسلام بناء المجتمع على الحرية الصحيحة ، جعل العدالة أساساً للشريعة ليطمئن إلى برها وسماحتها العدو والصديق ويصل إلى حقه فى ظلها القوى والضعيف ، ولقد شرحت فى موقف سابق ، كيف كان عامة الناس يقاضون الخلفاء أنفسهم أمام قضاة المسلمين ، فلا يستنكف الخلفاء أن يحضروا مجلس القضاء ، ولا يترددون فى تنفيذ مايلزمون به من حقوق .

العدالة فى القرآن ، تتضاءل أمامها روابط النسب مهما قربت وفوارق الدين مهما بعدت ، « كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا » .
« الذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا وإن

استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق » .. فانظر كيف سادت العدالة منطق القرآن وجعلت للعهود حرمة لا تضعفها وحدة الدين ، وقد كان النزاع يقع بين أهل الكتاب وحكام المسلمين ، فيقفون جميعا فى ساحة القضاء ، فلا تعلو إلا كلمة الحق ، وصوت الحجة ، ولو كان فى ذلك خذلان المسلم الحاكم وانتصار الكتابى الضعيف ... والقرآن الكريم أول دستور أهدر التفاوت بين الطبقات ، وجعل اختلاف الالسنة والالوان مجرد آية من آيات الله فى الخلق ، فليس هناك جنس أفضل من جنس ولا لون اكرم من لون .

وفى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : صهيب الرومى ، وبلال الحبشى ، وسلمان الفارسى ، وكان الرسول عليه السلام يقول « سلمان منا آل البيت » .

نعم علم الاسلام أبناءه ، ان أصلهم واحد ، وأن الحقوق والواجبات موزعة بينهم على السواء ، وان السوقة والعظماء أمام تعاليم الدين ، وموازين الحساب ، وفى ميادين العمل ، لايفضل أحد منهم أحدا إلا بالتقوى والخلق الكريم .

ومن أروع ماحفل به القرآن الكريم ، حفظ التوازن بين الطبقات تأكيدا للتضامن الاجتماعى الذى يشد بناء الأمة شدا محكما ، فلا تساقط منه لبنة ، أو تحدث فيه ثغرة .

فالغنى فى نظر القرآن وظيفة اجتماعية ، وصاحب المال يحاسب على تصرفه فيه ، وتناط به حقوق يجب أن يؤديها ، ويجب على الدولة أن تسأله عنها ، وقد فرض الله الزكاة وجعلها من أركان الاسلام : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » . وهناك حقوق لاتقل فى خطرها عن الزكاة ، وقد قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن فى المال حقا سوى الزكاة ، وأوضح القرآن الكريم

هذا الحق مبينا حقيقة البر ، وعناصر التقوى ، ودلائل صدق الايمـان،فقال . «وآتى المال على حبه ذوى القربى ، واليتامى والمسـاكين ، وابن السبيل ، والسائلين ، وفى الرقاب » . وأردف هذا بقوله: «وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة» فاسعاف المنكوبين ، وإغاثة الملهوفين، حق على من صادفهم فى أزمتهم ، ولو كان قد أدى زكاة ماله ؛ وهذا من أنواع الماعون ، الذى جعل الله الويل لمانعيه ، واعتبرهم مكذبين بالدين « الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون » . وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن إكرام الضيف المنقطع عن أهله وماله ، حق له على من نزل بهم ، وهذا الحكم من دعائم المروءة ، وروافد الخلق الفاضل فى المجتمع، وقد بلغت حساسية الاسلام المرهفة بأوجاع الناس وأحزانهم أن رصد من مال الزكاة ماتسد به ديون الغارمين العاجزين ، وذلك مالانظيرله فى شرائع البشر - واذا عم البلاد قحط جارف ، لم يبق لصاحب مال حق فى الانفراد به ، بل تضع الدولة يدها على الطعام ليستفيد منه الجميع على السواء . (إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو أوقل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب ثم اقتسموه بينهم بالسوية فهم منى وأنا منهم) . حدثونى إذا بعد هـذا الذى سمعتم ، ماهى الاشتراكية الحديثة التى ضمنت للناس ماضمن الاسلام من سماحة.. وإنكم لتعلمون مما ذكرنا أن الحقوق التى قيدت بها الملكية ليست فى نظر الاسـلام هينة ، ولكنها نظام مفروض يقاتل دونه الاسلام .. وعصمة الدماء والاموال ، مقرونة بأداء هذه الحقوق ، كما قررها عليه الصلاة والسلام ؟! »

امنوا بالله ورسوله ، وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه . فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير . . من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ، وله أجر كريم

- ٧ و ١١ سورة الحديد -

الاسلام والمذاهب السياسية الحديثة

الاسلام دين اشتراكى عادل ، وهو أرفع من الاشتراكية الحديثة فى مبادئه ونظمه وسلامة الاقتصاد فيه ، وما أصدق مايقول شوقى فى الرسول الكريم

الاشتراكيون انت امامهم لولا دعاوى القوم والغلواء

ولكن الاسلام يخالف الشيوعية ، وهو معها على طرفى نقيض ، يخالفها فى مبادئها ونزعاتها وأهدافها كل الخلاف .

الشيوعية مبدأ اقتصادى ينزع إلى السيطرة على الشعوب ، والاسلام يكره السيطرة ويدعو إلى اخوة الامم .

وهى فوق ذلك تخالف سنة الفطرة والاجتماع فى مبادئها وغاياتها ، وذلك ما يأباه الاسلام ولا يحبه .

وهى تثير النزاع بين الناس والطبقات ، وتحرض الفقير على الغنى ، بل هى لصوصية مقنعة غريبة على العقل والمنطق والتفكير السليم .

والشيوعية الحديثة ترتكز على دعامتين :

الأولى : هى محاربة الأديان ومن بينها الاسلام حربا لاهوادة فيها ، لأن الأديان عامة تنكر مبادىء الشيوعيين ، ولأن الشيوعية تدعو إلى الالحاد وعدم الايمان بدين من الأديان ، وإلى فصل الدين عن الدولة ، وإلى غرس أصول الاخلاق الشيوعية فى نفوس الشبان ، لتصبح هذه الاصول وحدها دون ماسواها هى دين الفرد ، وليقضوا بهذه الاصول على تراث الانسان الروحى والفكرى وعلى فطرته التى فطر عليها من حب التدين والايمان بدين سماوى شرعه الله لعباده . بل ان المادة الرابعة والعشرين بعد المائة من دستور ستالين تنص على « حرية

الدعوة اللادينية » ، وقانون عام ١٩٢٩ الذى أصدرته حكومة روسيا يفرض قيودا حاسمة على الهيآت الدينية ويحظر الدعاية الدينية ويعتبرها عملا غير مشروع .. وقوانين عام ١٩٣٩ تنص على :

١ – ضرورة تسجيل الجمعيات والمنظمات الدينية .

٢ – منع الهيآت الدينية من تشكيل أنفسها فى جماعات تعاونية أو جماعية .

٣ – حظر الاجتماعات الدينية الخاصة ، واجتماعات المصلين ، واجتماعات الشباب والنساء والأطفال .

٤ – عدم السماح للهيئات الدينية بالاحتفاظ عندها بأى نوع من الكتب إلا ما يلزم فى المراسيم الدينية

٥ – حظر بناء أمكنة جديدة لممارسة الشعائر الدينية .

ولم تغب نوايا الشيوعين عن بال الكنيسة الأرثوذكسية الروسية عند قيام الثورة الشيوعية ، فلقد دعا رئيسها البطريرك « تيخون » فى رسالة له بتاريخ ١٩ يناير ١٩١٨ « أبناء الكنيسة الى عـــدم الاشتراك بأى شكل من الأشكال مع هؤلاء المجرمين - يريد بهم الشيوعيين - أعداء الجنس الانسانى » .

وقد اضطهدت روسيا المسلمين فى تركستان وبخارى وسمرقند وفى كل مكان اضطهادا شديدا ، ونفت الكثير منهم إلى سيبريا .

صحيح أن روسيا أعادت حرية المتدينين الدينية اليهم خلال الحرب الأخيرة وبعدها ، ولكن ذلك إنما كان ذرا للرماد ، وقضاء على دعايات الأمم الغربية ضدها وخوفا من أن يؤلب البابا القوى عليها ، وهى وإن أذنت للمسيحية فى بلادها بالعودة إلى الظهور . فإن الاسلام لا يزال غريبا فى بلادها المترامية الاطراف .

ولا شك أن الاسلام يقف سدا منيعا أمام ذلك التيار الهـــدام المخرب ، الذى يريد أن يحطم كل شىء أمامه ؛ وأن يعصف بتراث الانسانية الروحى ،

وبالمبادىء السامية التى قامت ونمت وازدهرت فى ظلال روح التدين وفكرة الايمان العميقة فى الانسان

والدعامـــة الثانية التى تقوم عليها الشيوعية : هى محاربة الملكية الفردية والقضاء على حرية الانسان فى التملك ، مما يستدعى إشاعة الاضطراب الاجتماعى، وقيام الحروب والخصـــومات بين الطبقات والطوائف ، والقضاء على الأمن الداخلى للأمة

وكل هذه أمور يحرمها الاسلام ، ويحاربها بكل ما يستطيع . والمســلمون كافة يؤمنون بمبادىء الاسلام السمحة الكريمة ، التى من أخصها حرية الأنسان فى التملك ، والتى لا تمنع أن يعيش الفقراء والأغنياء بجوار بعض إخوة متحابين. يقول الله تعالى فى ســـورة سبأ : « قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له » ، ويقول عز وجل فى سورة الروم : « أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون » ، ويقول فى سورة الأسراء : « إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا » ، ويكرر ذلك فى سور كثيرة ، مما يجعل المسلم يؤمن إيمانا جازما بأن ذلك أصل من أصول الاسلام

ولا شك أن فى إطلاق حرية الملكية أمام الانسان تحريرا له من قيود الوصاية الاجتماعية واعترافا بشخصيته وكرامته الانســـانية ، وإثارة لمواهبه الخاصة ليستغلها فى الحياة لكسب الرزق والمال من طرقهما الشريفة المشروعة وتمشيا مع نظام الحياة نفسها ، وسموا بالحياة البشرية الخاصة والعامة . وقد دعا الاســـلام — مع ذلك — إلى التعاون التام بين الطبقات ، ودعا الاغنياء إلى البذل والصدقة والاحسان ، وأداء الزكاة للفقير المحروم ، وجعلها من أركان

الدين . وذلك نظام سليم يسير مع المنطق والفطرة والحياة وحرية الانسان ، ويحقق العدالة الاجتماعية بأسمى معانيها ؟

إن مبادىء الاسلام والقرآن تغنى عن كل مبدأ ، وترتفع بالانسان والانسانية أكثر مما ترتفع بهما الشيوعية والشيوعيون ، إلى حد بعيد

وما أصدق شاعرنا المعاصر (١) الذى يقول :

قل للشيوعيين أو أمثالهم
رفقا بهذا الشرق فى مأساته
فوضى المذاهب فى بنيه تضارب
لا يستقيم به نظام حياته
عودوا إلى القرآن أعدل مذهبا
وخذوا الحقيقة من لسان دعاته
فأقل ما يدعو إليه سعادة
للعالم الملتاع من ويلاته
فضل الزكاة كفاية لفقيره
لو يسمع المثرى نداء زكاته

---

(١) الأبيات للاستاذ حسن جاد الشاعر المعروف

الاسـلام والنظم الاقتصادية الجائرة

الجشع الاقتصادى بكل مظاهره شىء لا يعرف الاسلام ، ونظام الربا الذى أصبح متغلغلا فى جميع فروع حياتنا نظام فاسد لا يليق بالانسانية فى القرن العشرين ، وجدير بالامم أن تفكر فيه من جديد ، وأن تخطو خطوة حاسمة لانقاذ العالم من ويلاته

والشركات التى تقوم على نظام الربا ، لا بتزاز أموال الشعب ، شركات لا يقرها الاسلام الكريم

إن روح الجماعة ، وتيسير سبل الحياة لكل إنسان ، لهما الينبوع الذى تفجر منه كل الافكار الاقتصادية السليمة فى الاسلام

وأساس النظرية الاقتصادية فى الاسلام : أعط المال لغيرك ليهيىء لنفسه الفرص الطيبة فى الحياة ثم استرده منه

وعلى هذا الأساس كانت شتى المعاملات الاسلامية الكريمة ، وما أجل ما يقول الله تعالى : وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ؟

ارفعوا مستوى الحياة للفقراء والمحرومين والطبقات العاملة

تهتم الحكومة بالعمل لرفع مستوى المعيشة بين الطبقات الفقيرة وقـد قررت مجانية التعليم الابتدائى والثانوى والفنى ، وأنشأت كثيرا من الوحدات الصحية ووزعت بعض الأراضى الصالحة للزراعة على المعدمين ، وقامت باستصلاح بعض الأراضى البور للعمل على توزيعها

كما قامت بمد بعض القرى بالمياه الصالحة للشرب ، وبإنشاء بعض القرى النموذجية ، وبالتفكير فى تعميم العلاج المجانى . وبمشروع الضمان الاجتماعى

وهذه ولا شك أعمال جديرة بالتنويه ، ولكنها أعمال أولية لن تجدى شيئا فى علاج مشكلة الفقر فى مصر

وماذا يضير الحكومة لو قامت باحصاء جميع الأراضى الصالحة للزراعة والتى تملكها ثم بتوزيعها فورا على الفلاحين ، فتوزع الأراضى فى حدود كل مديرية على من فيها من الفقراء ! !

ثم ماذا يضير الحكومة لو أصدرت قانونا بتحديد الملكية الزراعية فى مصر

ثم ماذا يضير الحكومة لو قامت ببيع أجزاء من الأراضى الموقوفة للفلاحين واستثمرت أموالها فى مشروعات صناعية

إن مشكلة الفقر يجب أن تعالج فى مصر بكل طريقة وكل علاج ، ويجب أن نخطو خطوات جديدة لرفع مستوى الحياة للفقراء والمحرومين والطبقات الفقيرة

يجب أن ينشأ فى كل مركز بيوت الشعب بكثرة وسعة لينزل فيها العاجزون عن الكسب والعمل

ويجب أن يعم مشروع الضمان الاجتماعى بلاد القطر كافة ، مهما أخذ من أموال

أيها السادة كونوا شجعانا وجابهوا الموقف ببطولة وشجاعة ، وأنقذوا الشعب مما هو فيه من بؤس وفقر وحرمان ، وافرضوا النظام التصاعدى فى ضريبة الدخل ، لتستطيعوا أن تواجهوا الاصلاح بجرأة وإقدام وحزم ، وأن تيسروا سبل العيش لكل إنسان

واجبوا الزكاة جباية منتظمة لتصرف فى وجوهها على الفقراء.

أغنياؤنا وزكاة أموالهم

فى السنة الثانية من الهجرة فرضت شريعة الزكاة ، وهى جزء قليل يخرجه الغنى من ماله الكثير ، فيجبر به قلوبا كسيرة ، ويسد حاجة من ضعف عن القيام بحاجة نفسه ، ويرفه عن الفقراء والمحرومين ؛ ومقدار نسبتها فى الغالب لا يزيد عن اثنين ونصف فى المائة .

وما أجل قول الله تعالى : « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ، وقوله فى وصف المؤمنين : « والذين هم للزكاة فاعلون » ، وقوله « أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ؟ إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ، فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون ، وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون . وقوله تعالى « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » . . وفى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيض كثير من تأكيد شريعة الزكاة وتقريرها وإيجابها على الأغنياء للفقراء .

هذا الركن الكبير من اركان الاسلام ، هو رسول السلام ، وداعى المحبة والتعاون والعطف بين الناس ، والمقوى للروابط بين الأفراد والطبقات ، والمستل لأحقاد النفوس وأضغانها . والمقرب بين القلوب ، لتصير الامة كتلة واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . الزكاة أجل اصلاح اجتماعى أتت به شريعة إلهية ، واكبر دعوة إلى التعاطف والتساند والتماسك بين الناس ، وهى وما جيب فيه الاسلام من الصدقة والاحسان ، ورعاية الفقير ، واكرام الجار ، وقرى

الضيف وابن السبيل ، أعظم حل عملى لاعظم مشكلة عالمية استفحلت اليوم ، وهى الشيوعية ودعوة الشيوعيين .

ولما مات رسول الله صلوات الله عليه ، كانت القبائل العربية ؛ لاتزال بحمقها وجاهليتها غاضبة ناقمة على الاسلام ، وشريعته فى الزكاة . فارتد الكثير منها عن الاسلام فصمم أبوبكر على محاربة هؤلاء المرتدين مهما كان ؛ وهو يقول : « والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه » ونهض بنفسه لحرب المرتدين حتى أصاخوا لدعوة الاسلام ، وادوا لابى بكر زكاة أموالهم التى كانوا يؤدونها لرسول الله .

واليوم تشتد مشكلة الفقر فى مصر الاسلامية إلى درجة شديدة ، ويكثر فى وطننا الجائع والعارى ، والمحروم ، والسائل ، ونجد كثيرا من الناس يعيشون دون أن يكون لهم موردمن المال يعيشون عليه ولوكان قليلا ، وكثيرا مايفترش هؤلاء الفقراء الطرق ، وينامون ملتحفين السماء .

وتحاول الحكومة أن تحارب مشكلة الفقر بكل وسائلها ، ولكنها تخفق فى هذه الحرب لان المشكلة اشد خطرا مما تصور ، ولان وسائل العلاج الحكومى لا تعدى المظاهر والقشور ولان الفقير لا ينطق بلسانه احد ولا يمثله إنسان ولا يستطيع أن يلج دور الحكومة ليطالب بحقه فى الحياة .

ومسألة الضمان الاجتماعى لا تزال إلى الآن رغم جدواها فى دور التنفيذ ، والمال المرصود لها قليل ، وهى لم تشمل القطر كله ، وإنمـــا شملت جهات منه والناس معذورون لأنهم لم يحسوا بعد بأثرها فى علاج مشكلة الفقراء والمحرومين والبؤساء من الشعب ، والفقير لا يمكنه أن يصوم سنوات حتى تصل اليه مساعدة الحكومة ، ومتى تصل ، وعلى ظهر أى سلحفاة تسير ؟ .

وهيئة الامم المتحدة ، ولجنة حقوق الانسان فيها ، تؤلم ضميرها مشكلة الفقر فى الشعوب الصغيرة ، فتعترف بحق كل إنسان فى أن يعيش ، وأن تحفظ كرامته الانسانية ، وأن يجد قوتا كافيا ، وغذاء مناسبا له ولاولاده ، ومسكنا ملائما ، وكساء موائما . أما فى الشعوب الكبيرة فان الدولة تهيء للفقير فيها كل أسباب الحياة والراحة .

رحمك الله ياعمر ، لقد سبقت العالم المتحضر إلى ما يعملون ، فقد كنت تصرف للفقير من بيت مال المسلمين طعامه وكساءه وعطاءه ، وكنت تحمل على ظهرك القوت لتذهب به إلى من تستطيع الذهاب اليه من الفقراء .

نسكت ونصمت أمام مشكلة الفقر فى مصر .. أيتها الحكومة الاسلامية الجليلة فى مصر ، لم لا تكونين جريئة على الاصـــلاح ؟ ، لم لا تجربين وسائل الشرع الالهى فى علاج مشكلات المجتمع ؟ لم لا تفرضين الزكاة فرضا ، وتأخذينها بقوة القانون من الاغنياء

إن منظر الفقراء ليروع كل قلب وكل ضمير ووجدان وعاطفة ، فى كل مكان فى مصر . وإن أغنياءنا ـ عفا الله عنهم ـ يبذلون المال بسخاء فى أوربا وفى نوادى القمار والسباق وحفلات الرقص ، وعلى تربية كلابهم ، وفى شراء السيارات الفخمة والقصور الانيقة ، والضياع الواسعة ، ولكنهم يضنون على الفقير ضنا شديدا ، لا يبالون أن يشبعوا وجارهم جائع ، وأن يحيوا حياة الترف وفى الامة كثير من المحرومين من كل أسباب الحياة .

إننا نطالب الحكومة بأن تفرض الزكاة فرضا ، وأن تجمعها من الاغنياء بقوة القانون وأن تصرفها فى مصارفها التى أمر الله ورسوله محمد صلوات الله عليه

يقول الاستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف : الزكاة ركن كبير من أركان الاسلام ، فيه علاج حاسم لامراض المجتمع ، وتقريب كبير بين طبقات الامة ، وتعاون مثمر بين الاغنياء والفقراء ، ورفع لمستوى الامة الاجتماعى ، ودواء لأهم مشكلة من مشكلاتنا العامة وهى الفقر .

وإخراج الزكاة وتقديرها موكولان الى ضمير المسلمين ودينهم ، وهم مسئولون عن ذلك امام الله وامام المجتمع والناس .. ولكننا أصبحنا الآن فى زمن مادى يتحلل من شريعـــة الله ، ويعصى اوامر الله ، ويعد الزكاة مغرما ، بعد أن كان اسلافنا الاولون يعدونها مغنما كبيرا ، لما فيها من كسب رضاء الله وثوابه ومضاعفة الاجر عليها ، ولما فيها مع ذلك من حيازة رضاء الملائكة والناس ودعوات الفقير واليتيم والمسكين . ولما فيها من قضاء على الاجرام والنهب والسرقة والاعتداء على أموال الاغنياء . وصدق الله العظيم حين يقول : « وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون » .

وجباية الزكاة فرض على المسئولين والحكومة اليوم ، بعد أن أصبح أغنياؤنا لايعبأون بهذا الركن الخطير من أركان الاسلام ، وللحكومة فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه اسوة حسنة حين حارب العرب الذين منعوا الزكاة حتى ألفاءوا الى دين الله وشريعته ، وأدوها كما كانوا يؤدونهـــا لرسول الله صلى الله عليه وســـلم .

ولكننا لانوافق بأية حال ، على أن تأخذ الحكومة اموال الزكاة فتضيفها الى الايراد العام للدولة ، لان ذلك سيحول حتما دون وصولها إلى مستحقيهـــا

من الفقراء والمساكين ، ويترتب على ذلك أن تصرف فى ترقية التمثيل ، وتشجيع الفن ، وفى إقامة الحفلات الساهرة ، وان تدخل فى أموال الدعاية التى تعطى لابواق كل حكومة ،وفى المصاريف السرية التى تنفق بسخاء فى كل وجه ، وان تصرف على غير المسلمين من رعايا الدولة مع ان الزكاة لايجوز باتفاق صرفها إلا لمسلم .. ولا نوافق على ان تضاف إلى ايراد وزارة الاوقاف أو الشئون الاجتماعية ،لان ذلك سيحول حتما دون وصولها للفقراء ، وسيأخذها المحسوبون والمحظوظون ولو كانوا أغنياء ، فضلا عن ان الادارات التى ستشرف على أموال الزكاة ، وما يستتبع انشاءها من درجات وموظفين ورؤساء ، ستستنفد الجزء الاكبر من هذه الاموال

انما نرى ان تؤلف لجان فى كل قرية ومدينة بقرار وزارى ، من أعيان المسلمين ومن العلماء فى هذه الجهات .. وتتحرى هذه اللجان الحق والصدق فى عملها ، وتشرف على جمع الزكاة بشتى أنواعها من الأغنياء ، وعلى صرفها على مستحقيها من فقراء المسلمين ، على ان لاتخرج زكاة قرية او مدينة منها ، بل تصرف فيها على فقرائها . وتكون هذه اللجان مسئولة عن أعمالها امام القانون والحكومة .

وبهذا نضمن تحقيق غرضين شريفين :

الأول : التحقق من ان كل غنى دفع الزكاة الواجبة عليه كاملة غير منقوصة .

والثانى : التأكد من وصول الزكاة الى مستحقيها من الفقراء والمساكين .

(٨)
الاسلام رسالة البشرية

رسول من الله يتلو صحفا مطهرة ، فيها كتب قيمة . وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ، حنفاء ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة . وذلك دين القيمة

٢ - ٥ سورة البينة

ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله ، وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليما

- ٤٠ سورة الأحزاب -

يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم ، وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين

- ٥٧ سورة يونس -

دعوة انسانية عالية

مضى على وفاة محمد صلوات الله عليه نحو أربعة عشر قرنا من الزمان ؛ ولا تزال ذكراه الخالدة ملء القلوب والاسماع ، وحديث الانسانية الذى لاينسى، ونشيد الحياة الظامئة الى نبع هذا الالهام الكريم ، والى فيض هذه البطولة الفذة والعظمة الكاملة

إذا ذكر المسلمون هذا العربى الأمى ، تقديسا للرسالة التى حملها وبلغها عن الله ونشرها فى الخافقين ؛ وإيمانا بسمو ما أتى به من دين ، وأداه من عقيدة، فإن الانسانية كلها لتذكره لأنه رسولها الفذ الكريم ، وأبوها البر الرحيم، والعلم المفرد فى تاريخها الحافل المديد

إن عظمة محمد بن عبد الله ليست مستمدة من عصبية أو جاه أو مال ؛ وليس مرجعها عظمة الامة التى ظهر فيها... وليس مردها فحسب إلى جنسه وشرفه وجلال شخصيته وسمو خلقه وسعة أفقه وأنه المثل الأعلى للانســان الكامل المهذب فى الحياة ؛ وانه عاش مع فقره مجاهدا ، ومات مجــاهدا فى سبيل الله والحق والهدى والنور

وإنما ترجع مع ذلك الى أنه رسول الله الذى اختارته العناية الالهية من بين الخلق ليبلغ كلمة الله إلى الارض على فترة من الرسل ، وانقطاع الوحى عن البشر وبعد أن ضل الناس وجهلوا هداية السماء التى بشر من قبــل بها الأنبياء والمرسلون

وترجع إلى أنه جاء بآخر الرسالات ، وخاتمة النبوات ، وبشر بدين الله بين

الناس..وإلى أن هذه الرسالة التى أداها عن الله هى دين البشرية عامة ، وعقيدة الانسانية قاطبة ، وفطرة الله التى فطر الناس عليها

بما حوته من دعوة الى التوحيد المطلق ، وحرية العقيدة ، وتقديس للشرف والكرامة والمروءة والفضيلة ، وتقرير لمبادىء العدالة والحرية والمساواة والأخاء بين الناس كافة

وبسمو روحها ، وجلال نزعاتها ، ونبل أهدافها ، ورفعها من كرامة الانسان الأدبية فى الحياة

وباشتراكيتها العادلة ، وديمقراطيتها الحقة ، وماسنته من حب ورحمة وتعاون وشورى بين الناس

وبما تدعو اليه من ايقاظ للضمير ، وشعور بالمسئولية ، وتقدير للعهود والحرمات ، وللعلم والعمران والمدنية ، وحرب على الوثنية والشرك والضلال والفساد والرذائل والمنكرات والاهواء الضالة والشهوات الجامحة والاساطير الكاذبة والتقاليد البالية والأوهام الضارة

وبحسب محمد عظمة أنه أول داع الى الاخوة الانسانية المطلقة ، والزمالة البشرية المشتركة ، وأنه حارب العصبيات والقيود الجائرة ، وجمع الناس تحت لواء واحد من هدى الله ، وفى ظل رسالة كاملة هى شريعة الله

فكانت هناك أخوة إسلامية كاملة ، لوحدة الامة وحفظ كيانها .. إنما المؤمنون إخوة ، ، وبجانبها اخوة إنسانية عامة تجعل الناس جميعا على اختلاف نزعاتهم وعناصرهم وأديانهم وألوانهم إخوة فى الانسانية .. يفرض الاسلام أن يكون لغير المسلمين ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم من حقوق وواجبات . يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، . يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق

منها زوجها ، وبث منها رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام إن الله كان عليكم رقيبا

هذه الدعوة الجديدة التى دعا إليها الاسلام كانت منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، وفى عصر يستحيل منه التفاهم والتقارب والوحدة لسوء المواصلات ، وكثرة الجهل ؛ وقلة العمران والمدنية والحضارة ، وانتشار العصبيات . ولم يدع المفكرون إلى بعض مبادئها إلا فى القرن العشرين ، بعد أن هيأت الحضارة أسباب التقارب والمودة والأخاء . وكانت دعوة الاسلام إليها منذ ذلك العهد البعيد معجزة لهذا الدين ولرسوله العظيم الذى جعل الناس اخوة لافرق بين أبيضهم وأحمرهم وأسودهم وأعجميهم وعربيهم ، حتى لقد غضب رسول الله إذ أهان صحابىٌ من صحابته عبدا أسود زنجيا فعيره بأمه وقال له يا ابن السوداء ، وروُى الغضب فى وجهه .وقال طف الصاع ، طف الصاع ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بتقوى الله أو بعمل صالح

ثم لم تهدأ شعلة هذه الحياة المتقدة ، ولم ينطفىء مصباح حامل تلك الرسالة السماوية العظمى ، إلا وقد جمع محمد العرب عليها ، ودعا الملوك والأمراء اليها ، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين إلى كسرى وملك البحرين والحبشة وحاكم مصر وهرقل قائد الدولة الرومانية الشرقيـــة ، وما أروع مايقول فى رسالته اليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم : سلام على من اتبع الهدى ،أما بعد فأنى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الأريسيين (عامة الشعب) ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »

ثم حمل خلفاؤه من بعده عبء هداية الأمم اليها وحمل الانسانية عليها ، فوصلت عقيدة محمد إلى أطراف الدنيا ، وقامت عليها حضارة مشرقة ؛ ولم تزل هذه الرسالة عقيدة أكثر من سدس العالم المعروف اليوم ، ولن تزال حية بما فيها من حياة وحرارة وتجدد ونمو .

ولقد اعترف أفذاذ مفكرى الغرب بفضل محمد على الحياة وبأياديه الجليلة على الحضارة ، يقول تولستوى : مما لاريب فيه أن النبي محمدا من عظام الرجال المصلحين الذين خدموا الحياة خدمة جليلة ويكفيه فخرا أنه هدى أمة الى الحق وجعلها تجنح للسكينة والسلام . ويقول توماس كارليل فى كتابه الابطال : ان الرسالة التى أداها ذلك الرسول الكريم مازالت السراج المنير مدة ثلاثة عشر قرنا لاكثر من مائتى مليون من البشر ، وان رجلا كاذبا لا يستطيع أن يوجد دينا وينشره ، وعجيب وايم الله أمية محمد فلم يقتبس من نور أى انسان آخر ، ولم يغترف من مناهل غيره ، ولم يك الا كجميع الأنبياء ، اولئك الذين أشبههم بالمصابيح الهادية فى ظلمات الدهور .

وصدق الله العظيم حين يقول : يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا .

الاسلام دعوة الى السلام العالمى

قال صلى الله عليه وسلم : « مثلى ومثل الانبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله ، الا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

ويقول الله تعالى: شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى اوحينا اليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ، ويهدى اليه من ينيب . وما تفرقوا الامن بعد ماجاءهم العلم ، بغيا بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ، فلذلك فادع واستقم كما امرت ، ولا تتبع اهواءهم ، وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم ، الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لاحجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا واليه المصير » .

ان الاسلام دعوة الى الاخوة الانسانية العامة والى الزمالة البشرية المشتركة والى وحدة الاديان والعقائد . وهو دعوة انسانية عالية الى السلام العالمى المنشود

أو ليس هادى البشر للسعادة الابدية من دعا الى الديمقراطية الصحيحة وقرر الحكم الشورى وهدى الانسانية بعد الشرك والوثنية والضلال والهمجية والوحشية . وأنقذها من الاستعباد والظلم والهوان والمذلة

رفع أيدى الحكام عن الشعب وأمواله ، حتى لقد قال محمد صلوات الله عليه لابن اللتبية وقد استعمله على صدقات بنى سليم ، فلما جاء إلى النبى وحاسبه قال هذا الذى لكم وهذه هدية أهديت لى ـ : هلا جلست فى بيت أبيك وبيت

أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا؟ وفى بقية الحديث: أنه قام فخطب الناس ونهى عن مثل هذا وتوعد عليه

وساوى الفقير بالغنى، والصغير بالكبير، والمحكوم بالحاكم، والمرأة بالرجل، والأعجمى بالعربى، والوضيع بالشريف، ولقد قال لفاطمة بنت محمد: يافاطمة إنى والله لا أغنى عنك من الله شيئا

ان الخير كل الخير فى أن تؤخذ تعاليم محمد بغير تنقيح أو تعديل، وأن تطبق تطبيقا صحيحا. كما هى، لتسعد البشرية، ويستقر السلام العالمى المنشود، فالعالم لن يحيا من موته إلا اذا أخذ بتعاليم الاسلام، والتى لابد أن ينتهى اليها فى يوم الأيام، كما يقول برنارد شو الفيلسوف الانجليزى العظيم، «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق. أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد؟

ان الاسلام أسس امبراطورية، ولكن أية امبراطورية هى؟، وشيد حضارة، ولكن أية حضارة هذه الحضارة؟ وهو دين عام، ولكن أى دين وشريعة هو؟ «فأقم وجهك للدين القيم، فطرة الله التى فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون»

حرية وعدالة، واخاء، وعلم وثقافة، وشعور بالمسئولية، وتربية للوجدان والمشاعر، وارهاف للادراك وللاذواق والفطر الانسانية السليمة ومؤاخاة للعقل لا حدلها

ان الانسانية لا بد أن تتأدى الى هذه الشريعة وفق ناموس التدرج والارتقاء، والى أصولها العامة لا بد أن ترد، «أفغير دين الله يبغون، وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها، واليه يرجعون؟؛ قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط،

وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون »

ان الغرب تعلم عن الاسلام كيف يرفع بصره الى السماء ، وكيف يدرك أن انتصار العقل المادى لا قيمة له الا اذا اقترن بانتصار العاطفة والروح واتجه وجهة انسانية لمصلحة الفرد وخير المجموع البشرى . . وأخذ عنه ميراث الحضارة

ولكنه لم يأخذ عنه النزعات الصوفية ، ولا الجوانب الروحية ، التى تتجه بالمدنية وجهة الحق والخير والعدل والجمال والكمال الروحى

لقد بلغ الغرب أوج التقدم العقلى والمادى ، ولكن ما زالت عواطفه متبلدة وأرواحه هائمة حائرة

ان الكمال الروحى الذى كان بالأمس مثل الشرق الاعلى ، قد أصبح اليوم قبلة طائفة كبيرة من الغربيين ، تحاول أن تدمجه فى عقيدة القوة والتقدم المادى ، لتؤلف من المزيج مثلا انسانيا أعلى .

ولكن مهمة التوفيق هذه يجب أن تكون رسالة الشرق الجديد . لتحقيق الرسالة الانسانية الكبرى . بالجمع بين حضارة الغرب والشرق . بين العلم والعاطفة . بين العقل ونزعة التأمل . بين الفكر التجريبى والفكر الصوفى . بين قوى الذهن المادى المبتكر وقوى الروح النبيل الساعى لتحويل جهود الذهن لخير البشرية جمعاء

ان الاسلام ودعوته هى الباعثة على التقدم العالمى ، والسلام البشرى ، والحضارة الحقة ، والعلم الصحيح

فاتجهوا إليه ، وآمنوا به ، وسيروا فى أضوائه ، تصلح الحياة ، وتسعد البشرية ؟

مفاخر الاسلام ليست لها نهاية (١)

الاسلام اليوم مجهول من جماهير المسلمين غريب بينهم لا يألفهم ولا يألفونه يرتلون اسمه فى المحافل ترتيلا وهم أبعد الناس عن روحه وجوهره بل وأبعدهم عن فهم مبادئه واصوله وأهدافه .

الاسلام الذى احدث اعظم انقلاب عالمى واكبر ثورة بشرية والذى بلغت دعوته من الحيوية والسمو والطهر ومن المواءمة لروح الانسانية ونظريات الاجتماع ومذاهب التفكير الحديث ماشهد به الفلاسفة والمفكرون والمشرعون فى كل جيل ومكان . هذا الدين السماوى الخالد هو الذى ينبذه المؤمنون به اليوم وراءهم ظهريا ويحرمون انفسهم من الافادة بتعاليمه بل ويجاهر بعضهم احيانا بأنه دين الرجعية والجمود . كذبوا وايم الله فالاسلام لم يكن فى يوم من الايام الا دين التقدم والمدنية والتحرير الانسانى والعزة والكرامة والمجد ... وان اوربا لم تنهض نهضتها الحديثة الا بعد ان فهمت اصول الاسلام واقتبست من شريعته فى الاصلاح بل لقد وقف فلاسفة الغرب حياله مذهولين حائرين يتأملون نوره كما يتأمل الاعشى نور الشمس المشرقة . .

وما بالكم بدين وضع أصول السياسة والتشريع والاخلاق وأصول البحث والتفكير . وسبق الديكارتيين الى تقديم الشك أمام كل بحث وترك التقليد والى الايمان بما يؤدى اليه الدليل . كما سبق بيكون الى المذهب العلمى

(١) من محاضرة القيت بالشبان المسلمين مساء يوم الثلاثاء ١٧ / ٤ / ١٩٥١ بعنوان : الاسلام أول مقرر لحقوق الانسان

وسبق فلاسفة الاجتماع الى وضع أصوله . ولم يجعل للمعرفة الانسانية حدا من حيث وضع بعض المفكرين الغربيين حدا لما يمكن أن يصل اليه الانسان من معارف . وأقام مبادئه على سمو الغاية الادبية والانسانية فحسب دون النظر الى التعليلات الاقتصادية والمادية للاشياء التي هي الآن أساس المدنية الغربية

يفاخر العالم الغربي بمجانية التعليم التي سبق الى تعميمها منذ عهد بعيد . وأنتم تعلمون أن المدارس والجامعات الاسلامية كانت تطبق نظام مجانية التعليم بها، بل وتزيد على ذلك فتصرف لطلابها الغذاء والكساء وتهيء لهم السكنى في مساكن مدرسية خاصة

ويفاخرنا بمجانية العلاج وهو نظام سبق اليه المسلمون في العصور القديمـــة

ويفاخرنا بنظام الضمان الاجتماعي الذي عمموه في بلادهم مع أن المسلمين هم أول من طبقوه ونفذوه فقد كان يصرف من بيت المال نصيب معلوم للفقراء والمساكين واليتامى والارامل وأبناء السبيل ؛ كما كان لهم نصيب في الغنائم ونصيب في الزكاة . وكان عمر يفرض لجميع المسلمين عطاء من بيت المال ويقول : والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد وما انا أحق به من احد . هذا كله غير تشريع الاسلام للزكاة والهبة والوصية والوقف والارث ودعوته الى الاحسان وفرضه حقا معلوما للفقراء في اموال الاغنياء

ويفاخرنا بنظامه الديمقراطي . مع ان الغرب يعلم ان الإسلام هو اول من وضع نظام الحكومة الشورية التي كان دستورها القرآن . والتي اختفت فيها الفروق والامتيازات ووزعت الحقوق والواجبات على الافراد على السواء . وصار الحاكم والمحكوم جميعا على قدم المساواة في المسئوليات والالتزامات

بعد ان كان الناس يؤمنون بأن الحاكم ظل الله فى الارض وبأنه فوق القانون والمسئوليات . ولعلكم على ذكر من قول محمد صلوات الله عليه : الامام راع ومسئول عن رعيته . ولعلكم قرأتم بامعان قول عمر : ان رايتمونى على حق فأطيعونى وان رايتمونى على باطل فقوموني . وقوله لعمرو بن العاص : متى تستعبدون الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا . وقوله : اصابت امراة واخطأ عمر . وغير ذلك مما يعد دستورا خالدا فى تقرير مسئولية الحاكم

ولقد بدأ المفكرون فى القرن العشرين يدعون الى حكومة عالمية ، فأين هم من الاسلام ورسوله الكريم الذى دعا الى اخوة المسلمين فى الدين واخوة الناس جميعا فى الانسانية . ولم يجعل لعربى على اعجمى فضـــلا الا بالتقوى والعمل الصالح . والغى الفروق بين الطبقات والعناصر والالوان والاجناس والشعوب وجعل اساس الحكم الاسلامى المحافظة على الكرامة الانسانية ونشر كلمة الله والهدى والنور والحق والخير والمعرفة .. الدين واحد والناس جميعا إخوة يحكمهم حاكم واحد بما انزل الله

ولا يزال الغرب يدعى بأنه اول من اعلن حق الانسان فى الحرية والاخاء والمساواة منذ بدء الثورة الفرنسية حتى اليوم

وما اشد جرأة هؤلاء . وهؤلاء على الحقائق فلقد سبقهم الاسلام بأجيال وقرون الى اعلان حقوق الانسان وتأييدها وحمايتها

وما بالكم بدين حرر المراة من جور الرجل وحرر العامل من ظلم صاحب العمل وحرر الرفيق والخدم من العبودية والهوان . وحافظ على حق الانسان فى الحياة والامن وحقه فى الملكية وفى الكرامة الانسانية وفى تكوين الاسرة

وفى الاشتراك فى ادارة شئون الدولة . ودعا الى العدالة بأجلى معانيها والى الاخاء بأصدق مدلولاته والى الحرية الكاملة والمساواة الشاملة والاشتراكية العادلة . وحمى اتباع الاديان الاخرى وجعل لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم من واجبات وحقوق .

لقد كان افلاطون وارسطو من فلاسفة اليونان يقرران حرمان العمال والصناع والموالى من اخقون المدنية لانحطاط مايمارسونه من المهن .. فأين هذا من سماحة الاسلام وجلاله وسمو مبادئه ، الذى ساوى بين العامل والامير والغنى والفقير والكبير والصغير .

واوربا المتمدينة اليوم لا ترى بأسا من فرض الرق البشرى على الشعوب عن طريق الاستعمار وتسوغ لنفسها ازهاق الارواح وانتهاك الحرمات والحجر على الحريات فى سبيل بسط نفوذها وسلطانها على الارض .. فأين هذا من عدالة الاسلام التى حرمت الاستعباد والطغيان والاستغلال فى شتى صوره ، وجعلت للشعوب المتأخرة المحكومة مثل ما للمسلمين الحاكمين

والشعوب التى تتزعم مدنية اليوم لاترى أيضا ضيرا فى تدمير المدن وقتل النساء والاطفال والكهول وإزهاق أرواح المدنيين بلا حساب فى حروب منظمة يعجز العقل عن تصور هولها وفظاعتها .. فأين هذا من شريعة الاسلام التى فرضت على المسلمين احترام حقوق الانسان حتى فى الحروب وأوصت بالمدنيين المسالمين خيرا ونهت عن الاعتداء والسفك والنهب والحرق والتمثيل والتدمير والتخريب حتى لقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم جنده فقال لهم : أوصيكم بتقوى الله ومن معكم من المسلمين خيرا . اغزوا باسم الله فى سبيل الله من كفر بالله لاتغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا كبيرا فانيا ولا منعزلا بصومعته ، ولا تحرقوا نخلا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء ،

لقد بلغت المساواة فى الاسلام المدى الذى يصوره الرسول الكريم بقوله يـ أيها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب اكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى ألا هل بلغت اللهم فاشهد . . ولقد ولى رسول الله بلالا على المدينة وفيها سادة العرب والمسلين من الانصار والمهاجرين، وأسند إلى مهران الفارسى ولاية اليمن وهو من صميم الفرس ، وأذن عمر وهو خليفة لصهيب وبلال وسواهما من عامة الموالى بالدخول عليه قبل أشراف قريش وسادة العرب

وبلغت العدالة فيه المدى الذى يصوره قول محمد بن عبد الله : والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ؛ وأن يغضب « على » لأن الخليفة عمر كناه بأبى الحسن فى خصومة بينه وبين يهودى ، وان يقول عمر فى وصيته للخليفة من بعده : اجعل الناس عندك سواء ، لاتبال على من وجب الحق ، ثم لاتأخذك فى الله لومة لائم ، وإياك والاثرة والمحاباة فيما ولاك الله

فضلا عن تحريم الاسلام للنظم الاقتصادية الجائرة من ربا واحتكار وأكل لأموال الناس بالباطل ، وقاعدة الاقتصاد فيه : فلكم رؤوس اموالكم لاتظلمون ولا تظلمون ؛ كما ان قاعدة الاسلام فى اصول الاجتماع قوله (ص) : لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه .. وهو بحق دين اشتراكى عادل بما شرعه من زكاة وإحسان ووصية ووقف ، وبجعله بيت المال فى خدمة المسلمين عامة ومساعدتهم على الحياة

إن مفاخر الاسلام فى احترامه لحقوق الانسان وتأييده وحمايته لها ؛ وفى وضعه لاصول التقدم الادبى والروحى والاجتماعى ؛ وفى ايقاظه الروح الانسانى العام ، لهى مفاخر جديرة بالاشادة والتقدير ، حرية بأن نفهمها وتتدبر معانيها

ونقتبس من أصولها مايحيي الروح ويوقظ العزيمة وينبه راقد الفكر فى شتى أرجاء العالم الاسلامى

ان الخير كل الخير فى ان ينتبه الشرق الراقد الى اصول دعوة الاسلام التى جهلها وتناساها وتركها ؛ وإنه لحرى بالمسلمين جميعا أن ياخذوا بتعاليم محمد بغير تنقيح أو تعديل وأن تطبق تطبيقا صحيحا ليسعد الناس وتستقر الجماعات، وتهدأ الفتن، وتصحح الاوضاع، فالعالم لن يحيا من موته إلا اذا اخذ بتعاليم الاسلام التى لابد أن ينتهى اليها فى يوم من الايام «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد»

وصدق الله العظيم حين يقول: وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الا إلى الله تصير الامور»

الثورة على الأسلام حرب على المدنية

الشرق حائر ثائر ، وهو لا يثور لمجد يبنيه أو خير يسديه أو لعلم ينشده ، أو لمأثرة كريمة من مآثر الحياة يعمل لها .

انه لا يثور على الهوان الذى يعيش فيه ولا على الجهل الذى يشمل أرجاءه ونواحيه ، ولا على مساوىء الحياة الاجتماعية التى تفشو بين أهليه ؛ ولا يثور على منكر يحاول أن يغيره ولا لمعروف يريد أن ينشره ولا لسلطان يبغى أن يناله بين الامم والشعوب .

فعلام اذن يثور وينادى بالويل والثبور ؟

عهدنا بالثورة أن تكون لخير المجتمع أو الامة أو الانسانية ، وأن تكون ثورة سياسية أو اجتماعية أو دينية أو انسانية ، وعهدنا بالثورة أن تسعى لمثل الحياة العليا وأن تخطو بالانسانية خطوة جديدة فى سبيل الخير والسلام وفى سبيل المدنية والحضارة . . . وعهدنا بالثورة أن تفهم ما تقول ، وان يكون لها من نفسها منطق مقبول .

ولكن الثورة الحاضرة التى نكاد نلمسها بين الشرقيين لا تسعى إلى شىء من ذلك كله فلا تسعى لمجد الدنيا ولا لشرف الدين .

وان تعجب فعجب هذا ، نعم إن الشرق يثور ولكنه يثور على الله قبل أن يثور على أى شىء فى الحياة .. الشرق مهبط الديانات يثور على الديانات والشرق مهبط الوحى لا يثور الا على شرائع الوحى ، والشرق مصدر النبوة لا يثور الا على النبوات ـ والشرق الذى كان مقام الرسل وموطن النبيين ـ ومصدر الشرائع وموئل الأديان والمكان العظيم الخالد الذى انبثق فى أفقه النور والضياء وبزغ فى ظلامه قبس الوحى المنزل من السماء ، هذا الشرق أصبح يثور على تراثه المجيد

وماضيه الخالد التليد ومجده القديم الحافــــل

ترك الناس فيه الدين وراءهم ظهريا ونظروا اليه نظرتهم إلى الجمود والتأخر وصاروا يحتقرون كل رجل يتمسك بدينه ويحافظ عــلى تقاليده ويرمون كل من يقف فى سبيلهم بالبهتان . ويسمونه بالتأخر عن حضارة هذا الزمان ، وقالوا لا نريد أن تسير أمورنا العامة والخاصة وفق ما يريد اولئك المتدينون فغيروا مجرى الحياة بين ظهرانينا - فاذا المرأة مستهترة وإذا الرجل يعربد ويبدد الثروات فى ملاذه وشهواته وإذا الاسر تنهار ، لأن ثروتها قد ضاعت فى الميسر أو القمار وإذا الحياة جحيم لاتطاق والعيش نار موقدة متأججة واذا البؤس والبؤساء ومظاهر الفقر والشقاء فى الحياة كثير . فلم يبق فى الحياة شرف ولا خلق ولا حياء ولا وفاء ولا تقدير لأى نوع من أنواع الفضائل الانسانية

ثم أصبح هؤلاء الثائرون لا يهتدون لاصلاح ولا يعرفون علاجا لامراض المجتمع وعلله - لقد ثاروا على الدين لحطموا الأخــلاق ، وأفسدوا المجتمع وزعزعوا رقابة الخلق والضمير على حياة الناس وأعمالهم فى الحياة .. فأصبحنا نقرأ الكثير من مآسى هذه الحياة وفوضى تلك المعيشة ، وصرنا ننشد الزوجة الصالحة فلا نجدها - وننشد الرئيس العادل فلا نعثر عليه ؛ وننشد الضمير الحى فلا نقف له على أثر وننشد المروءة والشرف والكرامة والمحافظة على العرض والحرص على المصلحة العامة والرغبة فى الانصاف فلا نجد لهذا كله من باقية ، كيف يعيش الناس فى الحياة إذا فقدوا أسباب الحياة ؟ ثم كيف يسعد المجتمع إذا فقد النظام فى المجتمع ... لقد أصبح جيلنا الحديث لايعرف الا الأناقة ولا يعجب بشىء الا بالجمال - ولا يبغى الا ملذات النفس وشهوات الشيطان . كن كما شئت صلاحا وخلقا ونبلا فلن يفيدك هذا عندهم شيئا الا إذا كنت ابن فلان أو من ذوى الجاه والسلطان أو من جنود الشيطان فى هذا الزمان .

لقد أصبحنا فى عصر ذهبت منه المبادىء الفاضلة واختفت فيه المعانى الروحية السامية وصرنا لا نقدس إلا المادة وحياتها المظلمة

فلم نحى حياة الشرقيين ولا حياة الغربيين ، وضاع من أيدينا مجد اسلافنا الخالدين وتناسينا انبل مافى الحياة من معانى الشرف والاباء والخير والوفاء ـ فأصبحت الحياة جحيما لا يطاق وفوضى لا تحتمل ؛ وشرا لا يتصور ، لأننا قد فقدنا النور الذى نستضىء به وتركنا الهدى الذى كنا نهتدى بضيائه ، وهو نور الله ، ونور هذا الدين المبين .

لعل بنى وطنى يفكرون من جديد فى حياتهم وأخلاقهم ، ونظام مجتمعهم الذى يعيشون فيه ، ويرفعون حياتهم على اساس قوى من الايمان والاخلاق وكريم الصفات . . إنه لا سبيل إلى استعادة مجد الأمة إلا بالرجوع إلى التقاليد الكريمة والعادات الطيبة المتوارثة عن الآباء والاجداد المستمدة من التشريع السماوى ، ولا والله لا يستقيم حال الانسانية الا بهذا وكل علاج بغير هذا الدواء سوف يؤدى إلى مرض آخر

. . .

لقد بدأنا نلمس ظاهرة اجتماعية غريبة . لها بواعثها النفسية البعيدة ولاشك . . تلك الظاهرة هى بلادة الحس ، وضعف الشعور ، وقلة الاحساس بالمسئولية ، وهى ظاهرة اجتماعية نلمسها فى طبقاتنا المختلفة ، المثقفين منهم وغير المثقفين على السواء

تتفق مع عامل و صانع على أن ينتهى من عمل لك فى ميعاد معين ، ثم تذهب اليه فى نفس الميعاد ، فيعدك وعدا جديدا ، دون اعتذار أو كلمة أسف ، وكأنه يأت شيئا يستحق الاعتذار أو الأسف . وقد تذهب اليه فى الميعاد الجديد ، فيقابلك بميعاد ثالث

وتكلف الطالب بأداء واجب معين فيأتي درسه ، ويقابل أستاذه ، دون أن تجد عليه مظهر الأسف النفسي أو الاكتراث بالواجب الملقى عليه ، فاذا خاطبته أخذ يبدىء ويعيد ، وينتهي الأمر بأن يعدك أن يؤدي واجبه فى وقت آخر

وتطلب من ابنك او خادمك أداء عمل من الأعمال ، فيخرجان ليلعبا فى الطريق ، لا لأداء ما طلبت منهما القيام به من أعمال . وقد يعودان بعد أن يكونا قد نسيا ما كلفتهما به من عمل

وتطالب رئيسك بأن ينظر فى شكايتك ، فيضعها أمامه أسبوعا وأسابيع ، وقد تذهب اليه مستغيثا متألما ، فيعدك بأن ينظر فى شكايتك قريبا ، وقد تمضى على كلمة «قريب» سنة أو سنوات إلى أن يبت فى الشكوى

وأعمال الدولة كلها تقف على مكاتب الموظفين ، فينظرون اليها نظرة استهتار دون أن يشعروا أنفسهم معاني الأسف لهذا الاهمال

ظاهرة اجتماعية خطيرة ومؤلمة ، تعوق خطواتنا كأمة ناهضة ، وشعب يعمل جاهدا لرفع مكانته فى المعترك الدولى ، وكثيرا ما ينشأ عنها خيانات وحوادث لا حصر لها ، بل كثيرا ما تسىء إلى شرفنا وسمعة مجتمعنا فى كل مكان .

ويكاد المجتمع كله لهذه الظاهرة الخطيرة فى حياتنا الخلقية والاجتماعية يتداعى وينهار ، وتكاد سمعتنا أفرادا ومجتمعات وشعبا تنزل الى الحضيض

فما سبب ذلك كله وما مرده ، وما أسراره النفسية ، وما علاجه ؟

هل السبب فى ذلك هو ضعف المستوى الثقافى بين أفراد الشعب ؟ قد يكون سببه ذلك أحيانا ، ولكن الكثير من الناس الذين تبدو عليهم هذه الظاهرة من أعلى طبقاتنا ثقافة وعلما وشهادات .

أو هل السبب فى ذلك هو الفقر ؟ قد يكون ذلك هو سبب هذه الظاهرة فى بعض الاحايين . وان كنا كثيرا ما نلمس هذه الاخلاق فى طبقات الاغنياء

انى أعلل ذلك بضعف الروح الدينى ، وانهيار المنعة النفسية ، وضعف المستوى الخلق نتيجة لذلك وعدم قيام الأسرة والمدرسة بمهمة التهذيب والايقاظ والتوجيه وكثرة مايعمل فى حياتنا الاجتماعية من عوامل تدعو إلى الاغراء والفساد الخلق والانهيار الروحى ، والضعف النفسى وفقد الشعور بالمسئولية وعدم تقديس الواجب

الدين الذى يشيع القوة فى النفس . والثقة فى طواياها ، والمنعة والحصانة فى خلاقنا ؛ والاعتدال فى عواطفنا ، والسمو فى مشاعرنا ، الدين الذى يدعو الى الحق والعدل ، وينتشر فى كل قلب ونفس حارسا للفضيلة والاخلاق والسمو والطهر والشرف والكرامة والاعتزاز بالنفس ، الدين الذى يملأ الشعور والعاطفة والقلب والوجدان والعقل والروح أملا ونبلا وخيرا وحبا للحق والخير والانصاف ، هذا الدين لم يبق له أثر فى حياتنا العامة والخاصة وفى أخلاقنا ونفوسنا ، لأننا أضعفناه وحاربناه ، وعملنا على انهياره

إننى أدعو إلى تقوية الروح الدينى فى الأمة لنتلافى انهيارا اجتماعيا عاما يؤثر فى اكياننا وحياتنا ونهضتنا ؛ ويقودنا إلى الفناء والزوال

. . .

إننا أمة ناشئة تكاد تهوى بنا الشهوات والأهواء الجامحة من ذروة الكرامة والعزة والشرف ، إلى الهوان الخلق والشقاء النفسى والذلة الروحية ؛ ولم تغن النذر ومصارع الدول وتجارب الأمم ، لدينا شيئا . فلم نأخذ من ذلك كله عظة ؛ ولم نتخذ من تاريخنا الحافل المجيد أسوة ؛ وأصبح المسلم لا يجد فى أخيه المسلم ما كان يجد فيه من نجدة وكرم ؛ وتعاطف وتعاون ؛ وجميل مواساة ونبيل إخاء ، وكريم رعاية ووفاء .

وسمعنا قصص الأزواج الذين يحرضون زوجاتهم على الإثم ؛ والرجال الذين يدعون إلى تغيير معانى الانسانية والرجولة فى الناس ، والرؤساء الذين يتخذون

مناصبهم سبيلا للعدوان وانتهاك الحرمات والشباب الذين انحرفوا عن الجادة، فأساءوا إلى دور العلم أو خرجوا على نظام الأسرة والمجتمع أو اعتنقوا المبادىء الهدامة وغير ذلك من قصص المستهترين والعابثين، ونحن حائرون لاهون ننكر المعروف ونعرف المنكر وندعو اليه ونصغى لداعى المدنية الزائفة أكثر مما نصيخ لنداء الدين والايمان.

ذلك كله . مصدره امر واحد ، هو ضعف التربية الدينية فى الأمة . وجهل النشء بالدين، والعناية فى مدارسنا بشيكسبير وديكارت وكارل ماركس أكثر مما نعنى بدراسة القرآن والدين وحياة محمد صلوات الله عليه .

الدين مصدر القوة المعنوية فى الأمم . ومهذب الأخلاق والنفوس فى الجماعات . وكلىء الحق والعدالة والنظام فى الانسانية وقائد الناس إلى الخير، والأيثار والمعروف وإلى الايمان والأمن والسلام ؛ وإلى العلم والحضارة والعزة والمنعة والسمو الروحى والطمأنينة النفسية

وهو المرشد إلى الحب والرحمة والاخاء والتعاون ، والموجه إلى المثل العليا والفضائل الانسانية المهذبة وإلى خدمة البشرية كافة ، وأخوة البشرية بشتى طبقاتها وعناصرها وجماعاتها وامما والداعى إلى اداء الواجب والشعور بالمسئولية . وإرضاء الضمير ؛ والنأى عن الشبهات ، والتضحية بالنفس والمال فى سبيل الجماعة وخيرها

وليت شعرى، اى وازع أكثر من وازع الدين ، واى سلطان اكبر من سلطان الايمان والعقيدة . فاذا ضعف هذا الوازع والسلطان . وذلك الموجه والمرشد والقائد والرائد ، فماذا يبقى لنا من خير الدنيا والآخرة .

قد تقولون ان العقل والعلم والمدنية هى كل شىء وفيها كل خـــير ومنها نستمد القوة والعزيمة والقدرة على العمل

ولكن ألم تكن فرنسا يوم انهارت قوتها أمام الألمان تأوى من العلم والعقل والمدنية إلى ركن شديد ؟

وهل أغنى العلم والعقل والمدنية الأمم عن الانحلال والفناء شيئا ، وهل ردت عادية الشقاء عن ملايين البشر الذين يعيشون فى ظلالها فى العصر الحديث

وألستم أيها المسلمون الآن أكثر رجوعا إلى حكم العقل والعلم والمدنية ، من أى عهد مضى ، فهل أغناكم ذلك شيئا ؟ أو أكسبكم قوة

أيها الناس : لن ينقذكم من هذا الشقاء والضعف إلا أن تؤمنوا وأن يكون الله ورسوله أحب اليكم من الدنيا وزينتها ، وكل شىء فيها

أيها الحائرون ؛ لا هداية لكم إلا إذا أدركتم الحقيقة من منبعها الأول ، ومصدرها الأزلى الطاهر الكريم ، تعاليم الدين ، وشريعة السماء وسنة محمد والأنبياء من قبله

إى وربى لن يعود لحياتنا السلام والأمن والطمأنينة إلا اذا رجعنا الى الدين وعدنا الى حظيرته المقدسة

. . .

ان الحياة معركة دائمة ، والأمم الحية تخوض معارك الحياة بعزيمة جبارة ، وقلوب لا يجد اليأس أو الجبن اليها سبيلا ، تخوضها فى الحرب لتكسب الكرامة الانسانية والقوى الأدبية التى تساعدها على السيطرة على العالم وشعوبه واقتصادياته وتخوضها فى السلم لتحافظ على تقدمها الانسانى فى ميدان العلوم والآداب والفنون والاقتصاد وفى شتى مرافق حياتها الاجتماعية والسياسية والحربية ، وفى مدارج الحضارة والعمران ، وهى تعمل دائما على استكمال أسباب النصر فى هذه المعارك الطاحنة الفادحة ، سواء بالكفاح فى سبيل رقيها الاجتماعى والمادى والفكرى أم بالمحافظة على حرية الفرد وكرامته ، أم برفع مستوى حياة

الطبقات العاملة فى حقل مادياتها أم بغير ذلك من الوسائل والأسباب.. فا منزلة الشرق فى هذا الكفاح ، وما مكانته بين مجموعات الدول المناضلة فى سبيل الحياة والمجد والكرامة وإلى أى مدى يمكننا أن نذهب فى الإعجاب بحاضره أو الثقة بمستقبله المنشود ؟

أسئلة مؤلمة لنفس كل شرقى حر التفكير والرأى والاتجاه ، معتز بكرامته وكرامة بلاده العزيزة التليدة المجد ، ولكن ما جدوى الآمال والآلام ما دامت لا فائدة منها ، ولا أثر لها فى حياتنا العامة

الشرق مهبط الديانات ، وموئل الرسل ومسرح البطولة والعزة ، وميدان المغامرات والكفاح ، وأرض المجد الخالد . وبلاد الحضارة والمدنية والثقافة من قديم ، الشرق صاحب الماضى المجيد ، هو الشرق الذى يرسف فى قيود الاستعباد السياسى والاقتصادى ، هو جماعات من الأحياء أشبه بالموتى ، لا تربطهم وحدة ولا يجمع بينهم نظام ، ولا يتساوون فى الحياة أو الثقافة أو المعيشة حتى ولا أمام القانون والعدالة .

وشعوب الشرق لا يزال العالم المتحضر ينظر إليها على أنها جماعات متأخرة تعيش فى الحياة عالة على جهود الغرب وثقافته وحضارته.. وثروات الشرق العظيمة يحول الجهل دون استثمار الشرقيين لها ، وجميع مغانمها الطائلة وقف على الاجانب والمستعمرين والمستثمرين الغربيين والأمريكيين

وهذا العدد الذى لا يكاد يحصى من سكان الشرق وأهله ، يحطم فى أجسامهم المرض ، ويرنو على عقولهم الجهل ، ويقعد بهم عن فهم الحياة والكفاح فيها الفقر المنتشر بين ربوع الشرق وبلاده : والحياة الاجتماعية فى الشعوب الشرقية لا تزال اشبه بالنظام البالى القديم ، والمستوى العلمى والفنى لم يصل إلى ماينشده المصلحون والمفكرون

وهكذا يعيش الشرق والشرقيون ، فى شتى نواحى الحياة

كل مقومات الحياة ، وعناصر الانتصار فى معركتها المستمرة ، وأسباب الكرامة الإنسانية والعزة القومية فيها ، ذلك وغيره لا يزال الشرق منه على أمد بعيد

والدين وهو وسيلة القوة والشرف والنصر الدائم فى الحياة ، أصبح فى نفوس الشرقيين رسوما وألفاظا ، لا حقيقة ومعانى ومبادىء عليا تشعل فى النفوس نار الثورة على الذل والهوان والضعف

ونحن نتساءل ، أليس هناك سبيل لنستعيد ماضينا الخالد ؟ سؤال ، لا يحتاج إلى كلام كثير ، وإنمـا يحتاج إلى إيمان قوى ، وبطولة جريئة ، وعمل جبار لانقاذ الشرق والشعوب الشرقية من براثن الجهل والفاقة ولاستكمال استقلالها السياسى ، ولوضع دعائم ثابتة لاستغلال مرافقها الاقتصادية ، وللنهوض بحياتها المـادية والمعنوية ، ولرفع مستوى المعيشة فيها . ولايجاد تعاون وثيق وعدالة اجتماعية قوية بين طبقاتها وأفرادها .

فلتنهض أمم الشرق ؛ ولتبدأ كفاحها فى الحياة من جديد ، ولتؤمن بأن الحياة للمجاهدين والمكافحين فى سبيل خير الحياة ومجدها وكرامتها ، وأن الاسلام هو حاميها وقائدها إلى المجد والمدنية

. . .

وترى - بين مواكب الشباب الساعية لخير الحياة ومجدها - البعض قد انحرف عن الجماعة وترك التفكير فى أهداف الدين ومراميه وأصوله وجنح - باسم الاصلاح - إلى الايمان بمبادىء أخرى تخالف ديننا وتقاليدنا الموروثة

لقد سبق الاسلام إلى تقرير كل ما هو حق وخير ، وإلى تطبيقه تطبيقا عاما على الناس كافة دون نظر إلى أجناسهم وعناصرهم وأديانهم . لقد سبق فلاسفة الاجتماع المحدثين إلى وضع أصوله . ووضع أصول السياسة والتشريع

والاخلاق والتفكير ولم يجعل للمعرفة الانسانية حدا ، وكفل حقوق المرأة والعامل والزارع والخادم ، وأقام مبادئه على سمو الغاية الأدبية والانسانية فحسب دون النظر إلى التفسيرات الاقتصادية المادية التي هي الآن أساس الحياة الحاضرة . ، وسبق إلى توطيد دعائم العدالة والمساواة بين الناس ، وإلى النظم الديمقراطية الشورية ؛ وتقرير مسئولية الحاكم والغاء الفوارق بين الطبقات والعناصر . وإلى محو الأمية ومجانية التعليم والعلاج ، وتقرير مبدأ الضمان الاجتماعي للعاجزين عن الكسب : مسلمين وغير مسلمين ، وحارب الجشع الاقتصادى والربا والاحتكار والاستغلال

ان المعجبين بالحضارة القائمة إنما يعنون بها عادة السكك الحديدية والكهرباء والبرق والمذياع والطائرة ، كما يقول برنارد شو ، أما المعجبون بالحضارة الاسلامية فيعنون مبادئها الروحية وغاياتها الانسانية . وما شرعته للعالم من نواميس ونظم ، ومن ثقافة وعدل وحرية وخير ، وبسط لسلطان العقل ، ومحاربة للاوهام والجمود والجهل

. . .

لقد كان الاصلاح انشودة الشعب والمفكرين كافة منذ نحو ربع قرن من الزمان ، بعد طول نضال الأمة فى سبيل حرياتها وكرامتها القومية ، وهو ليس معناه انشاء الطرق ، ورصف المدن ، والاضاءة بالكهرباء الخ .

وانما هو قبل كل شيء روح يسرى فى جسم الأمة ، فيهزها هزا عميقا وينبهها لرسالتها فى الحياة ويقضى على الفوضى الاخلاقية فيها . ويحيلها إلى جسم قوى ذى منعة .

وأساس الاصلاح الاجتماعى قوة الاخلاق ومناعتها ، ونحن بحمد الله قد أصبحت فينا الرشوة داء مستفحلا ، وضعف الشعور بالواجب وبالمسئولية ؛

وانتشرت بيننا الخيانة وكثر الفجور ، وذهب الحياء ، وضعفت ثقة الناس بالناس وضاعت المعانى الروحية التى كانت متأصلة فى نفوسنا من قديم

وكيف لا تصل الى تلك النتيجة ، والدين — وهو سياج الاخلاق وحاميها وراعيها —قد أصبح شيئاً غير ذى موضوع فى حياتنا ، حتى أصبح المتدين فى نظر الكثير رجلا لا يصح أن يحيا فى القرن العشرين ، والمساجد أصبحت لا يؤمها إلا القليل من الناس .

ولقد نشأت عن ذلك أمراض اجتماعية خطيرة..فأزمة الزواج على أشدها. وضعف الغيرة ، وقلة الاحساس بكرامة العرض والشرف ، واضمحلال كل الوضوح فى حياتنا العامة والخاصة ، والاسرة فى انحلال ، والنشء بعيد عن التوجيه الصالح ، والارشاد السليم . والمرأة مع ذلك لا تفكر فى حلول عملية لانقاذ الأسرة والأمومة والطفولة . ولا تدافع عن هذه القضايا الانسانية العادلة ، وانما تسير فى صخب فى الشوارع والطرقات ، منادية بحق المرأة فى الانتخاب وفى عضوية مجلس النواب ، متجاهلة بأن الاسلام هو الذى حمى كرامتها ، واعترف بانسانيتها ، ورعى حقوقها ، ودعا إلى حمايتها ، وصانها من العبث والتبذل والسقوط والاسترقاق .

والشهوات الجنسية تعبث بكرامة الأمة والمجتمع والافراد فى كل ناحية

وحقوق العامل والزارع والصانع والمنتج والمؤلف لا تزال محتاجة إلى الحماية .

والاطفال المشردون لا تزال مشكلتهم قائمة ، والجهل والفقر والمرض لا تزال تنهك جسم الأمة بشتى العلل والامراض . رغم اننا قد بدأنا نحارب هذه الاعداء الثلاثة الفاتكة .

والمدارس ودور العلم صارت اقرب ما يكون إلى الفوضى والصخب ولايزال الرؤساء ينظرون إلى مرءوسيهم نظرة مجردة من العدل والانصاف بل ومن الانسانية فى احيان كثيرة .

إن الاصلاح لا يمكن أن يقوم إلا على أساس قوى متين من الاصلاح الروحى والدينى والخلق . ونحن لا نزال بعيدين عن ذلك كل البعد ، مما أدى إلى كل ما نحن فيه من شقاء وتناحر وفوضى وفساد .

لا حياة لنا إلا بالدين فهو مصدر القوة ، ومصدر النهضة ، ومصدر كل إصلاح .

الاسلام وضع كل الاصول الاجتماعية ، والانسانية اللازمة لبناء الأمة وقيام الحضارة ، وسعادة الناس . وما دمنا بعيدين عن ديننا فلن ننال إلا الشر والدمار والذين يحاربون الاسلام إنما يحاربون المدنية والنهضة والخير

يا قوم : عودوا الى الدين واستمدوا احكامكم من احكامه ، وآمنوا به ايمانا عميقا ، لتعيشوا احرارا ، وتموتوا احرارا ؛ ولتكتب لكم السعادة والفوز فى الاولى والآخرة .

من أيام الاسلا ومفاخره

يذكر الناس، ويروى التاريخ أنباء بعض الأيام البارزة فى تاريخ البشرية بالاعجاب والاكبار والتقدير لها ولأبطالها العباقرة الخالدين

والناس حينما يفكرون فى هذه الأيام الخالدة ويتذكرون جهاد أفذاذ التاريخ فيها، ويذكرون أثرها على الانسانية كافة، يبرز أمامهم من بين هذه الأيام أيام خالدة ميمونة كان لها أكبر الأثر فى تطور العلم، وفى تجديد نواميس الحضارة فيه، — وفى توجيه الحضارة العالمية توجيها جديدا قائما على أساس عظيم من اسمى المبادىء الانسانية التى شهدها التاريخ والناس

ومن هذه الايام يوم الميلادالنبوى الكريم، عيد الاسلام والسلام. وهو يوم خالد فى تاريخ البشرية الرهيب؛ كان فاصلا بين النور والظلام، والفوضى والنظام، والحرب والسلام، والشقاق والوئام؛ كان فارقا بين حياتين: حياة الاستعباد، والحرية؛ وحدا بين عهدين: عهدى الوحشية، والمدنية.

ولد محمد صلوات الله عليه، فولد معه النور والهدى، والحق والخير، والرحمة والايثار، والفضيلة والشرف، والعزة والكرامة.

ثم شب محمد صلى الله عليهوسلم مفطورا على اسمى الفضائل والمواهب والاخلاق التى تعتبر تراثا خالداً تعتز به الإنسانية وينشده الناس.

وبعث محمد إلى الناس كافة، لحمل الرسالة، وأدى الأمانة، ونشر السلام. وجعل كلمةالله هى العليا، وكلمة الذين كفروا هى السفلى. وقضى على من كانوا يعملون جاهدين ليطفئوا نور الله ودين الله.

ومات صلى الله عليه وسلم بعد أن ترك وراءه دينا عاما آمن به العالم ، وكتابا سماويا رددته الأجيال والقرون ، ودولة خضع لها الشرق والغرب ، تأتمر بأمر الله ، وتسير على حدود الله ، وتؤمن بدين الله ، وكتابه الحكيم ، ورسوله العظيم .

محمد صلوات الله عليه نشيد الانسانية الخالد . وأمل الحضارة المشرق ، وأول داع إلى أعظم دين ، وأنبل مثل وأكرم غايات ، وأسمى أهداف .

محمد صلوات الله عليه هو نبي الاسلام ، ورسول السلام ، وأعظم إنسان تعتز به الحياة والناس ، فى شتى العصور .

محمد صلوات الله عليه هو أملنا فى الماضى والحاضر والمستقبل ، وقدوتنا فى الحق والاصلاح والخير ، ومثلنا الأعلى فى كل ميدان ، وكل فكرة أو عمل .

. . .

وثانى هذه الأيام هو يوم الهجرة عيد الانسانية الأكبر ...

رسول أرسل برسالة عامة ، لهداية البشرية وإنقاذها من غياهب الظلمات وعماية الضلال ، فبلغها قومه ، وضحى هو والمؤمنون به فى سبيل نشرها بكل ما يستطيع ، وجاهد فى سبيل الذود عنها جهاد الأبطال ، ولكن قومه سخروا به وبدعوته . وآذوه وآذوا من آمن به ، وشردوا أنصاره وعذبوهم وساموهم ألوان الاستبداد والطغيان فاحتمل — واحتملوا معه — هذا العذاب راضين مطمئنين ، لا تلين لهم قناة . ولا تذل لهم رأس ، ولا تنحنى هاماتهم لأية قوة يستطيع الطغيان والعنف والاعتداء على حرية الرأى وكرامة العقل الانسانى ان يسخرها فى سبيل إطفاء مشاعل هذه الرسالة المقدسة أو اخفات صوتها المدوى فى الآذان

وجاهد — وجاهدت معه جماعة المؤمنين — جهادا لم يعرف التاريخ له مثيلا فى عظمته وجلاله ، وهم صابرون واثقون بعناية الله وبفوزهم فى سبيل ما حملوه من رسالة وأقام الرسول ومن معه بمكة ثلاثة عشر عاما . كانت أعمال البطولة فيها هى المدد الروحى للانسانية فى جهادها العظيم فى سبيل حرياتها وكرامتها وفوزها بحقوق الانسان لأول مرة فى التاريخ .

ورأى الرسول العظيم أن الدعوة فى حاجة الى توجيه جديد . وأن الرسالة التى حملها فى حاجة إلى بيئة جديدة تحترم فيها حرية الرأى وحرية العقل وحرية الانسان . فلم يكن أمامه الا المدينة . بيئة الاديان ، ومجال الحرية وموطن الانصار ومن آمن بدينه والبلد الذى تربطه بأعرق أسرها صلات وثيقة من النسب والقرابة . ففكر وقدر وأراد الهجرة اليها هو ومن آمن برسالته وصدق بدعوته وبدأ يوجه أنظار المؤمنين المعذبين فى سبيل عقيدتهم إلى هذا المكان الصالح والمثابة الكريمة فهاجروا اليها زرافات ووحدانا لا يحملون معهم نشبا ولا مالا وإنما يحملون عقيدة راسخة وإيمانا قويا تزول الجبال وتنحنى الابطال امام قوته وجلاله

وفى ليلة من ليالى التاريخ الخالدة نزل الوحى من السماء . يأذن لمحمد صلوات الله عليه بالهجرة إلى المدينة ، فشاور أبا بكر وأخذ يعد العدة للهجرة من مكة التى حملته هو وأنصاره عبئا ثقيلا حمله ببطولة وعظمة وكبرياء .

وبعد قليل وفى ساعة خالدة من ساعات الليل البهيم خرج محمد ومعه الصديق أبو بكر من مكة سرا مهاجرين إلى المدينة بعد أن كانت قريش قد عزمت على أن تفتك بمحمد . وصممت على أن تودى بحياته مهما كلفها ذلك من ثمن

وسار الرسول وصاحبه ، وبعد قليل علمت قريش ، فاقتفت اثرهما بالسلاح

والسيوف ، ولكن عناية الله ايدت هذا الرجل العظيم فى هجرته فنجا من أعدائه وأعداء الانسانية، لينشر فى العالم كله دعوة السلام ورسالة الاسـلام ودين التوحيـد والمساواة . واهتزت الأرض ومادت الجبال وتحرك الكون كله اعجابا بهذه البطولة الرائعة التى لم يعرف التاريخ لها نظيرا ، والتى ضربها محمد مثلا عظيما للاجيال إذ كان ثانى اثنين اذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليـا . . . هجرة خالدة حولت مجـرى التاريخ وكتب بها للانسـانية الظفر والنجاة من أيدى الطغاة المستبدين الذين كانوا « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

وبعد قليل وصل محمد وصاحبه إلى المدينة يحف بهما الجلال ، ويشرق على أسارير وجوههما نور الايمان ، وينحنى الوجود كله اجـلالا لهما فى جهادهما العظيم فى سبيل الحق والدين والانسانية

وبعد سنوات معدودات كان محمد قد نشر رسالته وخضعت لهـا الجزيرة العربية كافة وامتد قبسها المشرق إلى شتى الأرجاء وصار دينه عقيدة الانسانية وملاذ الشعوب ، ودين الناس كافة فى مشارق الأرض ومغاربها .

يوم الهجرة هو يوم التاريخ ويوم البطولة ويوم السلام ويوم انقاذ البشرية من الاستبداد والطغيان والاهواء والاوهام ، ويوم تقـديس حرية الرأى وحقوق الانسان ، واليوم الذى انتشرت بعده مبادىء الاخاء العالمى والتعاون بين جميع بنى البشر وجميع أبناء الشعوب

إنه يوم العدالة والحق والكرامة والسمو بالنفس عن الزلفى والنفاق وعن

أن تخضع للعادات الباطلة ، والتقاليد الفاسدة ، وعن أن تدين بدين — لا لأنه حق ولا لأنه يؤمن به العقل — ولكن لأنه دين الآباء والأجداد

هو عيد الانسانية الأكبر الذى قامت عليه العقيدة الدينية المحمدية ورفعت على صرحه الامبراطورية الاسلامية العظيمة التى أعجب بها التاريخ ودان لها الناس ، وقدرها العالم ، وذكرها المسلمون بالفخار والكبرياء .

ولا عجب فقد استطاع دين محمد — كما يقول نابليون — فى عشر سنوات أن يمتلك نصف العالم فى حين أن دين المسيح لم يثبت له أساس إلا فى ثلاثة قرون .

إن التاريخ العالمى بعد العصور القديمة لمدين محمد ولدينه السماوى العظيم بدين فادح لا يقدر أن يحيط به عقل انسان .

أليس محمد قد صنع التاريخ ووجهه توجيها جديدا ونقله مرحلة أخرى ، من عهد الاباطرة المستبدين المقدسين ، والملوك الذين كان الناس يؤمنون بأنهم آلهة أو أنصاف آلهة فى الأرض .. إلى عهد ماؤه العدالة والمساواة والتعاون ، لا فرق بين صغير وكبير ، وأمير وحقير ، فالناس سواء أمام الله وأمام القانون «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» ، والمؤمنون اخوة فى الله وفى الدين ، ولا يؤمن أحدهم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ؛ وعليهم أن يعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا وأن يحملوا مشاعل النور والمعرفة والسمو الروحى والثقافة والحضارة إلى جميع أرجاء العالم وشعوبه .. والمحبة والسلام مبادىء الدين المقدسة التى لا حياة للعالم ولا للشعوب ولا للناس بدونها

أما التاريخ من مثل محمد فى عظمته وبطولته؟ ومن مثل دين محمد فى سمو نزعاته وجلال أهدافه وغاياته ، وعظمة أغراضه واتجاهاته ؟ وهل فى صفحاته

البيضاء يوم مثل يوم الهجرة فى كريم بواعثه ، وعظيم أثره وجليل اياديه على العالم وعلى الانسانية كافة ؟

اللهم لا . اللهم ان الدين دينك ومحمد رسولك ويوم الهجرة من صنع حكمتك وأثر من آثار رحمتك بالناس

حقا إن يوم الهجرة الكريم لهو عيد الحضارة والمثل الرفيعة فى حياة البشر كافة ، وعيد المساواة والحرية

فقد كتب محمد فيه أروع الصفحات فى تاريخ العالم كله ، وضرب أعظم الأمثال فى الآباء والتضحية والبطولة

لقد هاجر صلوات الله عليه من وطنه ، حيث الاضطهاد الدينى ، والجمود الفكرى ، والتعصب للجهل وتقاليد الآباء الضالة ، ومحاربة دين الله والحق . هاجر بعد جهاد شاق ، وتضحيات جسام خالدات على الأيام ، وبعد أن لاقى أنصاره ما لاقوا من تعذيب وتشريد ونفى ؛ ودخل المدينة يحيط به المهاجرون والأنصار ، ويفدونه بالمهج والأرواح . فنشر الرسالة ، وأدى الأمانة ، وحارب الوثنية ، وحرر الناس من الأهواء والأوهام والخوف والجهل والعبودية ، وساوى بينهم كافة . لا فرق بين كبير وصغير ، وغنى أو فقير ؛ فعرفوا من جديد الأمن والعدل والسلام والحق ، وصارت العرب أمة واحدة ، أخذت تسود الأمم ، وتقود الانسانية إلى أكرم الغايات

فما أعظم هذا الداعى الكريم المبلغ عن الله ، وقد أصغت لدعوته الدنيا وحول بجهاده الرائع سير التاريخ والحضارة ، ودخل الناس فى دينه أفواجا ، وخضعت لحكم خلفائه العادلين شتى الحضارات والدول

وبحق مايقول أحد المفكرين عن رسول الاسلام :

إن محمدا أعظم عظماء العالم ، ولم يجد الدهر بعد بمثله ، ولم يستطع العلماء

المنصفون إلا الاعتراف بفضل الذى دعا إليه باسم الله ، وبأنه متفق مع العلم ، مطابق لأرقى النظم والحقائق العلمية »

ويقول برناردشو : « لو تولى العالم الغربى رجل محمد لشفاه من علله كافة ولقد بدأ الغرب بفهم ما هو الاسلام ، وسيتم إسلام أوربا عامة فى قرنين من الزمان »

• • •

والذكرى الأخرى هى ذكرى الأسراء والمعراج الحية الباقيـة أحاديثها العاطرة على مر الأيام

إن هذه الذكرى الاسلامية المحمدية الخالدة ، وتلك الليلة النبوية الكريمة الزاهرة ، وهاتيك المعجزة التى لم يع مثلها سمع الزمان ، ولم تسجل شبيها لها أسفار الخـلود ، إن هى إلا مفخرة كبرى ، ومنقبة عظمى ، ومعجزة باقية ، للرسول الأعظم ، محمد صلوات الله عليه ، ولمن آمن به وصدق برسالته

ولا يزال نشيدها الرائع ملء القلوب والأرواح والأسماع لأنها من صنع الله وقدرته ، ومعجزة دونها المعجزات ، وكرامة يحار الفكر فى فهمها ، ولا يزال العلم مع ما وصل إليه من ازدهار عاجزا عن إدراك كنهها ، حائرًا حيال روعتها وجلالها .. لأنه هكذا شأن المعجزات

لقد خص الله رسوله محمدا صلى الله عليه بكرامة ملؤها الكرامات ، هى كرامة الأسراء ، وإمامة الأنبياء ، والعروج إلى ملك الله وسماواته ، ورؤية المولى جل جلاله ومناجاته ، والوقوف بسدرة المنتهى ، وما رأى من آيات ربه الكبرى ، واحتفاء الملائكة والكون والانبياء به ودعواتهم الصالحات

له فى كل خطوة خطاها . . . كما خص الأنبياء والرسل قبله بكرامات ومعجزات

وقعت معجزة الاسراء والمعراج فى مكة ، قبل الهجرة ، بعام واحد على الصحيح ، بروح محمد وجسده ، معا ، وهو فى حال اليقظة التامة ، فى ليلة واحدة ، هى ليلة السابع والعشرين من رجب ، على ما عليه إجماع جمهور العلماء والمسلمين . . مما تؤيده الأحاديث النبوية الصحيحة الكثيرة ، ومما خلد ذكره القرآن الكريم ، إذ سجل قصة الأسراء فى قوله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير »

كان جهاد الرسول صلى الله عليه حينئذ قد بلغ الذروة فى سبيل الرسالة العظيمة التى بعثه الله بها ، ليبلغها للناس كافة ، وهى رسالة الخير والطهر ، والعزة والسمو والفضيلة والمحبة والحرية والمساواة ، والسلام والاسلام . . . وكان اضطهاد مشركى قريش ومكة والعرب له ولمن آمن به يومئذ قد بلغ الغاية . وكان الرسول الأعظم يومئذ قلق الفكر ، مشرد الخاطر ، لا يدرى أيان يأتى نصر الله ، وكيف ومتى توأد الوثنية ، ويضىء العالم نور الاسلام

وفى ليلة رهيبة ، كتب الله لها العزة والخلود على وجه الزمن ، كان الرسول نائما فى بيت عمته أم هانى بنت أبى طالب بمكة ، فنزل جبريل عليه من السماء ، فأيقظه ، وأخذ بيده ، ومسح صدره المطهر بيد الأمان والايمان والطهر والحكمة ، ثم أتاه بدابة فركبها ، وأسرى به ليلا من المسجد الحرام فى مكة وأراه الآيات الكبرى فيما بين السماء والأرض ، حتى انتهى إلى المسجد الأقصى فى بيت المقدس ثم أذن مؤذن ، فأقيمت الصلاة ، فأخذ جبريل بيده ، فقدمه فصلى بالملائكة والأنبياء إماما ، فلما قضيت الصلاة قال جبريل : هذا محمد رسول الله خاتم

اليمين ، قالوا : حياه الله من أخ وخليفة، فنعم الأخ ، ونعم الخليفة

ثم انطلق به جبريل ، فشق به الحجب ، واخترق الآفاق ، وصعد إلى السماوات ، يخترقها سماء بعد سماء ، والملائكة تحييه ، والأنبياء والرسل تناجيه وتناديه ، والكون يهتف باسمه ، والوجود كله يترنم بذكره ، والحياة ضاحكة مستبشرة

حتى انتهى إلى البيت المعمور ، فسدرة المنتهى ، تغشاه أنوار الجلال والجمال ويخاطبه مولاه الكبير المتعال ، حينئذ رأى النور الأعظم ، وأوحى الله إليه ما شاء أن يوحى ، وخصه بالنعمة والكرامة ، ومنحه الخير والرضاء والمحبة وفرض عليه وعلى من آمن به الصلاة ، وجعله خاتم الأنبياء ، والشفيع المشفع ، فى الخلق يوم القيامة

قالت ام هانىء عمة رسول الله : ما أسرى برسول الله صلى الله عليه إلا وهو نائم عندى تلك الليلة فى بيتى ، فصلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا . فلما كان قبيل الفجر أهبنا برسول الله ، فصلى وصلينا معه ، وحدثنا الحديث . ثم قام ليخرج حين بزغ ضوء النهار ، فأخذت بطرف ردائه ، فقلت . يانبي الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبوك ويؤذوك ،قال : والله لأحدثنهموه ، وخرج فأخبرهم فعجبوا وأنكروا وهزئوا وسخروا وارتد منهم كثير ممن كان أسلم برسول الله . . . وجاء أبو بكر ، وسمع ماسمع ، فقال : يانبى الله صدقت ، أشهد أنك رسول الله ،فسماه رسول الله من يومئذ الصديق

هذا هو حديث الاسراء والمعراج وما كان فيه من بلاء وتمحيص وعبرة لأولى الالباب ، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدق برسالة الاسلام ؛

وكان من أمر الله على يقين ، وما فيه من معجزات ناطقات بجلال الاسلام وعظمة نبي الاسلام

والعقل اليوم يجب أن يكون أقرب ما يكون إلى تصديق هذه المعجزة الكبرى ، بعد ما بلغت المعرفة الانسانية ما بلغت من ازدهار ، وأدركت ما أدركت من قوى الكون وأسرار الوجود ، فى عصر الكهرباء والذرة

أنرى الانسان يطير فى السماء بآلة مصنوعة ، ونرى التنويم المغناطيسى وتصرف الروح فى الجسم وائتماره بأمرها ، ونقرأ ما أثبته علماء الاسبرتزم والابنوتزم بالتجارب العديدة التى تسلطت فيها خصائص الروح على طبيعة الجسم حتى لم يكن للمؤثرات الخارجية عليها من سلطان .. ثم لانؤمن بالاسراء والمعراج ؟ .. كلا والله

والعلماء اليوم يحاولون بقدرتهم الانسانية المحدودة أن يصلوا إلى المريخ والقمر ، فهل تعجز قدرة الله عن أن تصعد بإنسان فى لحظة إلى سماواته ليقف خاشعا أمام جلاله وعرشه ؟ كلا والله

. . .

ومن أيام الاسلام الزاهية عيد الأضحى الكريم ، وهو ذكرى خالدة لأروع ما عرف فى الانسانية من تضحية وفداء

قصة ذبح إسماعيل ، وامتثال ابراهيم وولده لأمر السماء مثل أعلى فى التضحية فى سبيل الله ، أى فى سبيل الايمان والعقيدة ، والحق والعدالة ، والخير الحياة والبشرية كافة

وفداء الله تعالى لاسماعيل بذبح عظيم ، مثل كريم لنصر الله ، واعزازه للمؤمنين المخلصين من عباده ، ورمز واضح لرعاية الله التى تلازم المجاهدين الذين يضحون بأرواحهم فى سبيل الله

ومن هذا وذاك نعلم أن الحياة يجب أن تكون رخيصة ، فى سبيل شرف الانسان وكرامته ، أو مجد الوطن وحريته ، أو الانتصار لله والدين والحق .

وأن التضحية واجبة بل وشرف ، اذا دعا اليها داعى الجهاد المقدس انتصارا لمثل الحياة العليا الكريمة ، وأن العاقبة للمؤمنين حق الايمان ، لهؤلاء الذين تهون عليهم أرواحهم وأنفسهم وأموالهم ، فى سبيل أهداف الانسانية المثلى ، ومبادىء العدالة والحق والشرف والحرية

والانسان حين يؤمن فى طفولته بهذه العقيدة ، يزداد بها إيمانا حين يبلغ مبلغ الرجال ، فتهون عليه نفسه وحياته كلما دعاه الوطن لتأييد حقه فى الحياة ، أو للتمكين لكلمة الله والانسانية فى الارض ، فيهب نفسه لأمته ، وتهبه أمته المجد والحياة والخلود ، وكما يقول خليفة رسول الله ، ابو بكر الصديق « احرص على الموت توهب لك الحياة » .

إن العيد الأكبر رمز خالد لمعانى البطولة والمجد والتضحية والفداء .

فليست قصة فداء اسماعيل ، إلا مثلا رائعا ، لقوة العقيدة ، وجلال الايمان وعظمة الروح ، وسمو النفس ، وكريم الطاعة والامتثال لارادة الله ومشيئته

فليذكر المسلمون ذلك ، وليؤمنوا أن الدين اخلاص لله ، وفناء فى الحق وحساب للضمير ، واخاء وتعاون وتضامن فى سبيل إقامة مجتمع ، وبناء مجد أمة ، وتشييد نهضة شعب

ليعمل كل فرد فى سبيل مساعدة أخيه ، وتشجيع حركة التقدم والنهضة فى بلاده ، وليساهم بنصيبه فى رعاية مستقبل نفسه ووطنه واخوانه فى الله ؛ فالله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه

بعض نصوص من الاعلان العالمي الجديد لحقوق الانسان

الذى أقرته هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨

أما وأن الاعتراف بكرامة الانسان المتأصلة فى كيان أعضاء الاسرة البشرية جميعا ، وبحقوقهم المتساوية ، التى لا انتزاع لها عنهم ؛ انما هو أساس الحرية والعدل والسلم فى العالم .

وأن تجاهل حقوق الانسانية واحتقارها قد افضيا إلى أعمال همجية استثارت ضمير الانسانية ، وأن انبثاق عالم ، يتمتع فيه المرء بحرية القول والمعتقد ويتحرر من الخوف والعوز ، قد أعلن أرفع ما يصبو اليه الناس .

وأن سيادة القانون لا بد منها لصيانة حقوق الانسان ، حتى لا يلجأ المرء مضطرا ، فى آخر امره بالظلم والطغيان ، الى دفعهما عنه بالثورة ، وأن من الجوهرى تعزيز نمو العلاقات الودية بين الامم .

وأن شعوب الامم المتحدة قد جاهرت فى الميثاق ، كرة اخرى ، بايمانها بحقوق الانسان الأساسية ، وبكرامة شخص الانسان وقدره ، وبالتساوى بين حقوق الرجل والمرأة ، وأعلنت بعزمها على تعزيز الرقى الاجتماعى وعلى رفع مستوى الحياة تحت ظل من الحرية أوسع مدى ؛

وأن الدول الاعضاء قد قطعت على نفسها عهدا بأن تؤمن ، بالتعاون مع الامم المتحدة ، الاحترام العالمى الفعلى لحقوق الانسان وللحريات الاساسية .

وأن الفهم المشترك لهذه الحقوق والحريات ذو أهمية عظمى للايفاء بهذا العهد ايفاء تاما ... فالجمعية العامة تنادى بهذا الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، على أنه للشعوب والامم قاطبة . مثال للتحقيق مشترك ـ كيما يسعى جميع الافراد وجميع هيئات المجتمع ، وهذا الاعلان دوما نصب العيون لان يعززوا بالتعليم والتربية احترام هذه الحقوق والحريات ويؤمنوا ، بتدابير تدرجية فى النطاقين الوطنى والدولى ،

الاعتراف بها وتطبيقها على نحو عالمي فعال ، سواء في ذلك شعوب الدول الاعضاء نفسها وشعوب الاقاليم الداخلة في عهدتها .

المادة الأولى : يولد البشر كلهم احرارا ، متساوين في الكرامة وفي الحقوق وقد وهبوا عقلا وضميرا ، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الاخاء .

المادة الثانية : لكل انسان جميع الحقوق والحريات المثبتة في هذا الاعلان دون أى تمييز ، لا سيما في العرق ، واللون ، والجنس ، واللغة ، والدين ، وفي الآراء السياسية أو غيرها من الآراء وفي الاصل القومي أو الاجتماعي ، وفي الثروة والنسب أو ما اليهما .

وفوق ذلك ، لن يكون هنالك أى تمييز يستند إلى الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي للبلد أو الاقليم الذى ينتمي اليه المرء سواء أكان ذلك البلد أو الاقليم مستقلا ، أم تحت الوصاية ، أم غير متمتع بالحكم الذاتي ، أم مقيدا في سيادته بأى قيد آخر .

المادة الثالثة : لكل انسان الحق في الحياة ، وفي الحرية . وفي الأمنة على نفسه

المادة الرابعة : لا يسترق ولا يستعبد احد ، فالرق والاتجار بالرقيق ممنوعان على مختلف أشكالها .

المادة الخامسة : لا ينزل التعذيب باحد ، ولا يعامل أحد أو يعاقب بشكل شرس أو وحشي أو محط بالكرامة .

المادة السادسة : لكل انسان الحق في أن يعترف له ، في كل مكان ، بشخصيته القانونية .

المادة السابعة : الكل واحد بين يدى القانون . متساوون في حقهم من حمايته لهم دون تمييز بينهم

ثم تحدث الاعلان، عن حق الانسان فى انصاف القضاء له، وحقه فى التنقل بين البلاد، وفى الزواج وتكوين أسرة له، وفى الملكية، وحرية الدين والرأى وانتقل الى حرية الاجتماعات فقال :

المادة العشرون (١) لكل انسان الحق فى حرية الاجتماعات والجمعيات المسالمة .

المادة الحادية والعشرون (١) لكل انسان الحق فى ان يشارك فى تدبير الشؤون العامة فى بلده سواء أكان ذلك على يده أم على أيدى ممثلين يختارون اختيارا حرا

(٢) لكل انسان الحق فى ان يتوصل على قدم المساواة إلى المناصب العامة فى بـــلده

(٣) قوام الحكم مشيئة الشعب ويجب لهذه المشيئة ان تتبين بانتخاب نزيه يأتى فى مواعيد دورية ويكون على الاقتراع العام السرى المساوى فيه بين المقترعين أو على أسلوب آخر معادل له يكفل حرية الاقتراع

المادة الثانية والعشرون : لكل انسان . من كونه عضوا فى الهيئة الاجتماعية ، الحق فى الامنة الاجتماعية .وله الحق فى ان ينال بفضل المجهود القومى والتعاون الدولى ووفقا لحال الدولة بنظمها ومرافقها الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى لا تستغنى عنها كرامته ولا شخصيته فى نموها المطلق

المادة الثالثة والعشرون : (١) لكل انسان الحق فى العمل وفى الحرية على اختيار نوع العمل وفى أن تكون شروط العمل عادلة مواتية وفى الحماية من البطالة .

المادة الخامسة والعشرون : (١) لكل إنســـان الحق فى مستوى من العيش كاف لضمان الصحة والهناءة له ولعيلته ، بما فى ذلك الغذاء ، والكسوة ، والسكن والعناية الطبية . والخدمات الاجتماعية اللازمة . وله الحق فى أن يؤمن امره عند البطالة ، والمرض ، والعجز ، والترمل ، والشيخوخة ، وفى كل حالة أخرى يفقد معها أسباب معاشه بعلة لا يد له فيها .

المادة السادسة والعشرون : (١) لكل إنسان الحق فى التربية

(٢) يجب فى التربية أن تعمل على نمو الشخصية الانسانية نموا تاما ، وعلى تقوية الاحترام لحقوق الانسان والحريات الاساسية . وعلى تعزيز التفاهم والتسامح والصداقة فيما بين الامم جميعا ، وفيما بين كل الجماعات وعلى دعم مجهود الامم المتحدة لتوطيد السلم

المادة السابعة والعشرون : (١) لكل إنسان الحق فى أن يشترك بحرية . فى حياة المجتمع الثقافية . وان يتمتع بالفنون وان يكون له نصيب فى الرقى العلمى وفى الخيرات الناجمة عنه .

(٢) لكل انسان الحق فى أن تحمى المصالح الأدبية والمادية الناجمة عن كل نتاج له فى العلوم والاداب والفنون .

المادة الثامنة والعشرون : لكل إنسان الحق فى أن يسود نظام اجتماعى ودولى يتأتى معه تحقيق تام للحقوق والحريات المثبتة فى هذا الاعلان .

المادة التاسعة والعشرون : (١) على الفرد واجبات نحو المجتمع الذى فيه وحده يتاح لشخصيته أن تنموا نموا حرا تاما .

(٢) لا يخضع أحد فى ممارسة حقوقه وحرياته إلا لما يفرضه القانون من قيود غرضها الاوحد إنما هو تأمين الاعتراف بحقوق الاخرين وحرياتهم واحترامها . وتحقيق ما تقتضيه عدلا الاخلاق والنظام العام والخير العام . فى هيئة اجتماعية ديمقراطية .

(٣) لايجوز . فى حال من الاحوال . ممارسة هذه الحقوق والحريات على ما ينافى أغراض الأمم المتحدة ومبادئها .

. . .

هذا هو وربك بعض نصوص من هذا الاعلان العالمى الجديدوالاخير لحقوق الانسان..الذى لا يخرج فى مبادئه عن أهداف الاسلام وغاياته ونصوصه..

الكلمة الأخـــــــيرة

بسم الله ، نحمده ونشكره ونستعينه ، ونعوذ به من شرور أنفسـنا ، وسيئات أعمالنا .. من يهد الله فلا مضل له ؛ ومن يضلل فلا هادى له .. هو الله الذى لا إله إلا هو ، عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذى لا إله إلا هو ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون ؛ هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم ... وبعد :

فهذه صفحات مشرقة ، مملوءة بمفاخر هذا الدين الخالد ، والرسالة ، الآلهية العظمى ؛ والدعوة الأنسانية الكريمة التى بلغها محمد صلوات الله عليه للناس كافة . فكانت هدى ونورا عاش فى ظلالها العالم حتى اليوم .

ولقد كان الباعث لى على تدوينها ما رأيته من انحراف التفكير عند بعض المثقفين والشبان فينا ، وجهلهم المطلق بكل ما يتصل بالاسلام ؛ وعدم قدرة رجال الدين على الدفاع عنه دفاعا مبنيا على الدراسة المستفيضة له ولمبادئه وأهدافه وأثره على الحياة والبشرية والحضارة

إن الذين يشايعون المدنية الغربية ويتعصبون لها ؛ ويؤمنون بهـا ، لجد مخطئين جاهلين . . فالأسلام هو أعظم رسالات الاصلاح فى تاريخ الانسانية حتى اليوم ، وهذه المبادىء المعاصرة لاتزال تتعثر فى طريقها وتبتعد عن الغاية وتصد فى كثير من الأحيان عن الحيـاة الصحيحة ، والحرية الكاملة والآمال الواسعة فى الرقى بالعالم وبالناس

وإن الاسلام اليوم لغريب عن قلوب المسلمين وأرواحهم وفكرهم ؛ وكل خير فى بيئته منسى وكل نبى فى وطنه غريب .. والعجيب أن يجحد فضل الاسلام بعض بنيه ويعتقدون أن الخير كله فى مذاهب الغرب وتفكيره وحضارته ..

فإلى كل باحث عن الحقيقة ، وكل مسلم فى مشارق الأرض ومغاربها ..

أهدى هذا الكتاب . . . وما توفيقى إلا بالله ؟ محمد عبد المنعم خفاجى

فهرست الكتاب

اســـتدراك

ورد فى صفحة ١٧٦ سطر ١ كلمة « المؤمنين » ، وصحتها : « جماعة المؤمنين »

مطبعة فؤاد [illegible] ت ٥٨٧٢٨